مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 25، العدد (1)، ص ص 201 – 239، الرياض (2013م/ 1434هـ)

مرتكزات التربية الأخلاقية للداعية المسلم في ظل الواقع المعاصر

عدنان مصطفى خطاطبة *

جامعة اليرموك

(قدم للنشر في 28/ 10/ 1433هـ؛ وقبل للنشر في 16/ 11/ 1433هـ)

المستخلص: يعنى هذا البحث بدراسة مرتكزات التربية الأخلاقية للداعية المسلم في ظل الواقع المعاصر، ويهدف إلى توضيح أهمية التربية الأخلاقية للداعية، وبيان سبلها ودوافعها، وأثرها في نجاح الدعوة، وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستنباطي. وخلصت من هذا البحث إلى عدة نتائج منها: أن الأساليب التربوية الناجحة تساهم في تربية الدعاة أخلاقياً، وأن للصحبة وللقدوة وللدعاء ولأداء العبادات أثرها الفاعل في تنمية القيم الأخلاقية عند الداعية، وأن لدوافع الرغبة في تحصيل الأجر والثواب وتحقيق النجاح الدعوي والاجتماعي أثراً نافعاً في تحسين مستوى الأخلاق لدى الداعية، كما أن أخلاق الدعاة تعكس خصوصية المجتمع المسلم وملامح هويته الحضارية، ومن أهم توصيات البحث: عقد سلسلة من الدورات التدريبية للدعاة في مجال القيم الأخلاقية، وتقرير مساق في كليات الشريعة متخصص في البناء السلوكي والأخلاقي لدى الدعاة.

الكلمات المفتاحية: التربية الأخلاقية، الدعوة الإسلامية، الواقع المعاصر.

Foundations of Ethical Education of the Muslim Preacher in Relation to Contemporary Reality

Adnan Mustafa Khatatba *

Yarmouk University

(Received 15/09/2012; accepted for publication 02/10/2012.)

Abstract: The present research is concerned with the study of the foundations of the ethical education of preachers for contemporary realities. It aims at showing the importance of ethical education of preachers, its tools and motives and its implications for Islamic Da'wah (call to Islam). Adopting a deductive approach, the research has reached a number of conclusions, some of which are the following: successful educational techniques enhance the ethical education of preachers; the development of the preacher's ethical values is greatly influenced by the type of companions, role models, supplication and observance of worship acts; the preacher's ethical level is enhanced by the desire to gain rewards from Allah and succeed at the Da'wah and social levels; and the conduct of the preacher reflects the unique identity and features of the Muslim society and civilization. Among the most important recommendations of the research are the following: there should be training courses on ethical values for preachers; and colleges of Shari'ah should provide a special track for the development of preachers' ethical behaviour.

Key words: ethical education; Islamic Da'wah (call); and contemporary reality.

(*) أستاذ مشارك في التربية الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية،
كلية الشريعة، جامعة اليرموك
إربد، المملكة الأردنية الهاشمية، ص.ب (566)، الرمز (63/ 112)

(*) Associate Professor, Department of Islamic Studies,
College of Shari'ah, Yarmouk University,
Irbid, Jordan, p.o box: 566, Postal Code:112/63

البريد الإلكتروني: adn_mus@yahoo.com e-mail:

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأكرم الأكرمين، والصلاة والسلام على نبيّنا الصادق الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فتعد الأخلاق موضوعاً محورياً في منظومة التشريعات الإسلامية، وقضية مركزية في خطاب الوحي ومضمون الرسالة الإلهية؛ لقول الرسول ﷺ: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1]، وهذا يعني أن الأخلاق على صلة وثيقة بالدعوة الإسلامية وبحملة هذه الدعوة، وأنه لا يقبل في المنهج الإسلامي البتة أن تقدم الدعوة للناس مفرغة من محتواها الأخلاقي، ولا يرتضى أبداً أن يكون حامل الدعوة عارياً من لباس الأخلاق الإسلامية.

ولذلك حرص رسول الله ﷺ منذ بداية الدعوة على بيان أن من القيم العظمى للدعوة التي جاء بها، قيمة الأخلاق، كما حرص على أن يكون هو بنفسه نموذجاً أخلاقياً يدعو إلى مكارم الأخلاق بالأفعال قبل الأقوال، وظهر منهجه الأخلاقي هذا ﷺ في أصحابه الذين اقتدوا به في أخلاقه كما في عقيدته وعبادته، فتجلت فيهم شخصية المؤمن الداعية المتكاملة.

وبقي التاريخ يشهد أنه كلما اجتمع العلم والخلق في الداعية وحامل الدين ومعلمه، قوي شأن الدعوة، والتفّ الناس حولها، وتقبلها أبناء المجتمع، وبالمقابل كلما افترقت الأخلاق والعلم والفكر واجه الداعية والمعلم فشلاً ونكسة في عمله الدعوي، وهذا حاصل في واقعنا الإسلامي إلى حدّ لا يمكننا إنكاره، ولا التهاون بمشكلته وآثارها. وبات من المؤكد أنه لا يكفي في الأخلاق مجرد المعرفة لها ولا الشرح النظري لأسسها، بل لابد من أن يجتمع في شخصية الداعية والمُعلم العلمُ بالأخلاق، والتطبيقُ لها في سلوكه؛ ليكون حاله شاهداً على قيام الأخلاق في شخصه واقعاً ملموساً.

وإذا كان من المهم المعرفة النظرية بقائمة الأخلاق اللازمة للداعية المسلم، فإنه من الأهمية بمكان البصيرة بطرق ومناهج الوصول إلى تحقيق هذه الأخلاق على أرض الواقع، أي: في نفس الداعية وحياته، بحيث تصبح ثمرات ناضجة تظهر في سلوكه وواقع دعوته ومواقفه، كما تشاهد ثمار الشجرة تتدلّى منها، تسرّ الناظرين، وتطعم الجائعين، ويتلذذ بأكلها المشتهون. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتعالج القضية المركزية في أخلاق الداعية بخاصة، والمسلم بعامة، وهي محاولة لتقديم ملامح النهج الإسلامي في بناء الأخلاق، وتربيتها، والمحافظة عليها، أي: الانتقال إلى الجانب العملي والتطبيقي الذي يساعد في إقامة الأفكار والنظريات والمفاهيم الخلقية على أرض الواقع سلوكاً حيّاً في شخص الداعية المسلم.

(1) المستدرك، ح رقم (4221)، صحيح.

أسئلة الدراسة:

تكونت الدراسة من الأسئلة الآتية:

- ما أوجه الحاجة للعناية بتربية الداعية أخلاقياً في ظل الواقع المعاصر؟
- ما أبرز محددات تربية الأخلاق لدى الداعية؟
- ما أهم سبل تربية الداعية أخلاقياً؟
- ما أهم دوافع تربية الداعية أخلاقياً؟
- ما أثر تربية الداعية أخلاقياً؟

وستتم الإجابة عن هذه الأسئلة، ومناقشتها من خلال مباحث الدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

- إظهار مدى الحاجة للعناية بتربية الداعية على الأخلاق في ظل الواقع المعاصر.
- الدلالة على أن الأخلاق من مقاصد الدعوة النبوية.
- التأكيد على أن عملية تربية الخلاق لدى الداعية هي عملية تربوية واعية ومقصودة.
- توضيح أهم سبل التربية الأخلاقية للداعية، والتي شملت: التعليم، والاعتياد، والصحبة، والقدوة، والدعاء، والمحافظة على أداء العبادات، والتعهد.
- تحديد أبرز دوافع تربية الداعية أخلاقياً، والتي شملت: دافع التعبد لله تعالى، والشعور بالمسؤولية، والرغبة في الأجر، ورفعة المنزلة، وتحقيق النجاح.
- بيان أثر تربية الداعية أخلاقياً في نجاح الداعية والدعوة.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما يأتي:

- تقديم توجيهات عملية؛ لتجاوز إحدى المشكلات السلوكية التي يعاني منها واقع الدعوة الإسلامية المعاصر.
- الاستفادة العملية من قبل القائمين على شؤون الدعوة من الرؤية التربوية المنهجية المقدمة في عملية تربية الأخلاق لدى الدعاة أنفسهم.
- تزويد المكتبة التربوية والدعوية بدراسة علمية يمكن للمؤسسات التعليمية تطبيقها أثناء تعليم الطلبة مواد التربية والدعوة الإسلامية.

الدراسات السابقة:

بمراجعة الباحث المظان العلمية المعنية بالدراسات العلمية، لم يقف الباحث على دراسة علمية ذات صلة مباشرة بموضوع دراسته، ولكنه وقف على عدد من الدراسات ذات صلة بجانب منها، من ذلك دراسة حريري[2]، وقد تناولت بالبحث أزمة الأخلاق: أسبابها وعلاجها من منظور التربية الإسلامية. ودراسة

(2) وهي بعنوان: أزمة الأخلاق: أسبابها وعلاجها من منظور التربية الإسلامية.

العطـــاس[3]، وتناولـــت مفهـــوم الـــسلوك الخلقـــي، وخصائصه، ومعاييره، وسبل اكتسابه. وتتفق دراسة الباحث مع دراسة الحريري في محور الواقع المعاصر وأزمته الأخلاقية، ومع دراسة العطاس في تناول أساليب تربية الأخلاق، وتفترق عنهما في التخصص بربط موضوع الأخلاق بالداعية، ومناقشة دوافع وسبل تربية الأخلاق عنده وآثارها، وفي هذا إضافة جديدة.

منهج الدراسة:

يستخدم الباحث في دراسته هذه المنهج الاستنباطي، حيث يقوم بقراءة وتحليل واستنباط المادة العلمية ذات الصلة بمحاور الدراسة من مظانّها العلمية، بما يخدم مستوى الدراسة، ويحقق أهدافها. أما الحكم على الأحاديث التي في غير الصحيحين، فإن كان الحديث في المسند فقد اعتمد الباحث على حكم العلامة أحمد شاكر، وإن كان في السنن فعلى حكم مؤلفه إن وجد، وإلا فعلى حكم العلامة الألباني في تصحيحه وتضعيفه للسنن الأربعة، وإن كان في لمستدرك فعلى قول الحاكم والذهبي، وإن كان في غيرهما فعلى ما قاله الألباني في السلسلة الصحية والجامع وغيرها. ويؤكد الباحث أنه عزا جميع المعلومات إلى مصادرها ومراجعها التي رجع إليها، وأن أي معلومة لم يعزها إلى مرجع، فهي مما لم يأخذها من أي مرجع.

مصطلحات الدراسة:

1- **الأخلاق الإسلامية**: عبارة عن تلك المبادئ والقواعد المنظّمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي؛ لتنظيم حياة الإنسان تنظيماً خيراً على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه[4].

2- **الداعية**: هو المسلم المُبلغ للإسلام، والمُعلم له، والساعي إلى تطبيقه[5].

ويعرف الباحث- إجرائياً- مرتكزات التربية الأخلاقية للداعية بأنها: أوجه ضرورتها، وأبرز محدداتها وسبلها ودوافعها وملامحها وآثارها.

خطة الدراسة:

تكونت الدراسة من مقدمة، ومباحث خمسة، وخاتمة: المبحث الأول: الحاجة للعناية بتربية الداعية أخلاقياً في ظل الواقع المعاصر، والثاني: محددات تربية الأخلاق لدى الداعية، والثالث: سبل تربية الداعية على الأخلاق، والرابع: دوافع تربية الداعية أخلاقياً، والخامس: أثر تربية الداعية أخلاقياً.

ويرجو الباحث من الله – تعالى – التوفيق والعون لتحقيق مقاصد هذه الدراسة، وأن ينفع بها المسلمين.

* * *

(3) وهي بعنوان: مفهوم السلوك الخلقي من وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي، وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة.

(4) جوانب التربية الإسلامية الأساسية (287).

(5) المدخل إلى علم الدعوة (40).

المبحث الأول

الحاجة للعناية بتربية الداعية أخلاقياً

في ظل الواقع المعاصر

يهتم الدين الإسلامي غاية الاهتمام بالتربية الخلقية، ويعطيها قدراً كبيراً من التوجيه، باعتبارها الأساس الأول الذي يشيد عليه البناء الاجتماعي السليم؛ ولذا فهو يمجد الكمال الخلقي، ويحث على مكارم الأخلاق حثا شديداً، والإسلام حينما يمجد الأخلاق، ويدعو إليها، فإن ذلك يعود في المقام الأول إلى رغبته في أن يكون الإنسان قادراً على أن يميز بين ما هو خير وما هو شر، وبين ما هو شر وما هو محايد لا ينفع ولا يضر[6].

ولا شك أن الداعية والمربّي والقدوة في كل مقام هم أولى بأن يمتلكوا هذه البصيرة الأخلاقية. يقول الخياط: «إذا كان التمسك بالأخلاق الحميدة والتحلي بالإيمان الصحيح ضروريين في حق كل إنسان لنيل رضا الله والنجاح، فإنهما في حق من يتقلد أمانة التعليم والتربية – وكذلك الدعوة – ضروريان من باب أولى، بحكم وظيفته كمرب للأجيال، وصانع لرجال الغد المنشود»[7].

ويمكن إظهار الحاجة إلى العناية بالتربية الأخلاقية لدى الداعية بخاصة، من خلال المحاور الآتية:

أولاً- التربية الأخلاقية للداعية جزء من التربية الإسلامية الشاملة: بمعنى أنه يجب النظر إلى مهّمة التربية الأخلاقية للداعية المسلم على أنها جانب من جوانب التربية الإسلامية الشمولية التي يحتاجها الداعية بخاصة، والمسلم بعامة. وهذا يتطلب ابتداءً الإدراك التام لطبيعة التربية الخلقية، «فالتربية الخلقية في الإسلام ذات شقين: أولهما: الشق النظري الذي يحدد الإطار الفكري، أو ما يصحّ تسميته بالنظرية الأخلاقية، كما تبدو في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وثانيهما: الشقّ العملي الذي يبين الممارسات العملية الأخلاقية في عالم الواقع»[8]. «وهذا الشقّ العملي والمتمثل بالممارسات العملية، يُبيّن مدى اتساق سلوك الإنسان مع منظومة القيم الأخلاقية الإيجابية التي أمر الله بها من ناحية ثانية»[9].

وفي هذا النهج الإسلامي الأخلاقي تَمَيّز فريد عن تلك النظريات الأخلاقية الفلسفية والجدلية التي قدمت للبشرية عبر قرون عدة منذ عهد اليونان إلى زماننا الحاضر، إذ اعتنى فلاسفة الأخلاق بمناقشة المفاهيم الأخلاقية في إطارها النظري[10] بعيداً عن تقديم منهج

(6) قراءات في التربية الإسلامية (418).

(7) الإعداد الروحي والخُلقي للمعلم والمعلمة (86).

(8) الفكر التربوي العربي الإسلامي (422).

(9) المرجع السابق (423).

(10) مع أن الفلسفات الغربية تناولت موضوعات التربية الأخلاقية منذ زمن اليونان، إلا أنها اتخذت طابع التركيز على القيم الجمالية، ثم اتخذت منحى مختلفا من عصر الفيلسوف الألماني كانت إلى ديوى الأمريكي، وبراتراندراسل البريطاني، فجعلت=

عملي وتطبيقي لتنشئة الأخلاق، كما قدمه المنهج الإسلامي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن هنا، فالتربية الأخلاقية تُعنى – بالدرجة الأولى – بتنزيل الأخلاق النظرية على أرض الواقع؛ لأن «مجرّد معرفة قيمة الأخلاق وتعليمها لا يكفي – بأي حال من الأحوال – ليسلك الإنسان السلوك الأخلاقي في الحياة العملية، بل لابدّ من تربية أخلاقية»[11]. ومن هنا كانت «عناية الإسلام موجّهة – بالدرجة الأولى – لتزكية النفس وتهذيبها. والمراد من تزكية النفس تطهيرها من نزعات الشرّ والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها»[12]. وهذا هو مفهوم التربية؛ لأنه يدور حول عملية التنمية والتزكية والزيادة والإصلاح. وعليه فالتربية الأخلاقية للداعية، تعني عملية بناء الأخلاق في نفس الداعية المسلم، بحيث تغرس هذه الأخلاق في نفسه، وتنمو وتزكو، ويزداد بها واقعة حسْناً وجمالاً، وتصلح بها أحواله، ويبصرها الناس من حوله، ويلامسونها في واقعه، فيجدون سلوكاً وواقعاً أخلاقياً، لا مجرد نظريات ومقولات وخطابات. ولا شك أن الوصول بالداعية المسلم إلى هذه المرحلة، حيث يتربّى على الأخلاق، وتتمثل فيه واقعاً عملياً، وتستمرّ معه، هي عملية تربوية مجهدة وطويلة، وتحتاج إلى أسس، وبرامج، ووسائل، يُخطط لها، ويتم تنفيذها بوعي وحكمة. فالكلام هنا عن عملية تربوية، أي: عن عملية بناء وتزكية وتنمية، وعن عملية تغيير واقعي في السلوك، وهذه عملية ليست بالسهلة، لكنها ممكنة إذا وجد المنهج التربوي السليم لتفعيلها في نفوس وحياة الدعاة إلى الله.

ثانياً- الواقع الأخلاقي: الواقع الأخلاقي للأمة المسلمة، هو جزء من الواقع الحضاري المأزوم الذي تمرّ به الأمة المسلمة في زماننا. فكما هو واقعها الحضاري كذلك واقعها الأخلاقي؛ لأن أخلاق المجتمع المسلم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمستواه الحضاري، وهي تعبّر عنه بشكل واقعي. ولا نختلف في وصف مستوانا الحضاري الإسلامي بأنه متخلّف ومتردي إلى حدّ كبير في هذه المرحلة من مسيرة الأمة. وهذا – بلا شك – صداه ظاهر وبقوّة في المستوى الأخلاقي، كما هو في المستوى الاقتصادي، والإنساني، والتكنولوجي، والدعوي، وغير ذلك من مسارات ومكونات الحضارة. يقول العبده في مقال له بعنوان: خواطر في الدعوة، أزمتنا الأخلاقية: «خلل كبير نعاني منه في حياتنا الإسلامية المعاصرة أيّما

=التفكير العلمي العقلاني أساساً للقيم الأخلاقية. ولم تقدّم دراسات علمية في التربية الأخلاقية قبل القرن العشرين. وفي مطلع السبعينات من القرن العشرين بدأ الاهتمام بالتربية الأخلاقية، لأسباب عديدة. وقد بدأت مقدمات الاهتمام بالتربية الأخلاقية في علم النفس وفي علم الاجتماع، وانتشرت في المنتصف الثاني من القرن العشرين الأبحاث في التربية الأخلاقية. (الكيلاني، 9-10، 1992).

(11) جوانب التربية الإسلامية الأساسية (281).

(12) الوجيز في الأخلاق الإسلامية وأسسها (43).

معاناة، ذلك هو النقص في الأخلاق الأساسية التي يجب أن تتوفر في كل مسلم؛ لأنها إن ضعفت، أو نقصت، فلن تقوم للأمة قائمة»[13]. ويشير «العبده» إلى أن الدعوة ابتليت بمن تجرّد من الأخلاق الإسلامية الأساسية، كما هو حال كثير من المسلمين، فمثلاً صار الكذب – وهو من أسوأ الأخلاق الرديّة – يقع فيه بعض الدعاة، كما يقع فيه كثير من المسلمين[14]. بل وتجد الشكوى من الواقع السلبي لأخلاق بعض المنتسبين للدعوة بشكل واضح حتى من قبل عامة المسلمين الذين يتعاملون معهم[15].

وللواقع الأخلاقي المأزوم – على صعيد تمثّل القيم الأخلاقية، والالتزام بها، وإظهارها سلوكا حيوياً – عوامل عديدة قادت إليه، أهمها: عدم تطبيق المجتمعات المسلمة لشريعة الله – تعالى –، الذي انبنى عليه غياب القانون الإسلامي أن يحكم، والمنهج التربوي الإسلامي أن يسود، وحلول المنهج الغربي العلماني في ديار المسلمين، والذي كانت مهمته الرئيسة إقصاء النهج الإلهي عن أن يكون هو الفاعل والمؤثر في حياة المجتمع المسلم، مما أدّى إلى اهتزاز منظومة القيم الأخلاقية ذات الأصول الإسلامية، وانفراط عقدها، وخروجها إلى حدّ كبير من واقع الحياة الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية، وبخاصة على مستوى السلوك، وحصل اندحار واضح لرسالة المؤسسات التربوية الإسلامية في بناء الأخلاق، وتربيتها في مجتمعاتنا الإسلامية. وهو ما يحتّم علينا ضرورة العودة إلى إحياء التربية الأخلاقية، والدعوة إلى الأخذ بمنهج التربية الإسلامية في مجال بناء الأخلاق، وتحويلها من إطارها النظري إلى واقعها العملي الممارس في حياة المسلمين بعامة، والدعاة والمتعلمين بخاصّة.

وواقع الأخلاق المأزوم الذي تعانيه الأمة، وبخاصة على المستوى السلوكي، لا ينفك عن الواقع العالمي ومؤثراته القوية، وبالتحديد في ظل الانفتاح التكنولوجي والعولمة الفضائية، والذي زاد من الضغط على واقعنا الأخلاقي، وأضاف مزيداً من الطرد لقيمنا الأخلاقية الإسلامية، ومحاولة إحلال وترسيخ القيم العالمية التي تتصف بالانفتاحية غير المنضبطة، وبالانحلالية والمنفعة المادّية. يقول الكيلاني: «يتعرض العالم المعاصر لموجة من الهزات الأخلاقية المتتابعة، والتي تتمثّل في مظاهر مختلفة من الممارسات، وأنماط السلوك الفردية، والسياسات الجماعية التي تسلب الأفراد والجماعات السعادة والأمن والاستقرار، وتضعف العلاقات في ميادين الحياة المختلفة. ولقد أعطت سهولة المواصلات والاتصالات التي أثمرتها التكنولوجيا الحديثة هذه الهزات الأخلاقية صفة العالمية،

(13) خواطر في الدعوة (26).

(14) المرجع السابق نفسه.

(15) المرجع السابق (14).

ولم يعد بمقدور مجتمع من المجتمعات إغلاق معابره أمامها، أو النجاة من آثارها. وفي خضم هذه الأزمات الأخلاقية تجد المجتمعات العربية والإسلامية نفسها أمام أعراض خطيرة من الأزمات الأخلاقية، التي تهددها رغم رصيدها الهائل من القيم الأخلاقية والمناعة الاجتماعية. فهي ترى بين ناشئتها المحدثين أفواجاً غير قليلة تفترسهم عدوى الانحلال الأخلاقي بمظاهره المختلفة، وترى الأسر الناشئة تنهار ولما يمض على تكوينها شهور أو سنوات، وترى علاقات الجوار والمودّة وروابط الدين والقُربى تعصف بها تيارات الفتن والعصبيات والخلافات»[16]، إلى غير ذلك من النماذج السلبية التي أدت إليها العولمة المعاصرة بكل فنونها، وإلى توليد حالة الاغتراب والفراغ الأخلاقي وفقدان التماسك الاجتماعي، والاحتفاء بالفردية والنزعات المادّية[17]؛ لأنّها وجدت أرضاً خصْبة، وحالة من فقدان المناعة في أرض المسلمين، بسبب غياب وتغييب منهج الله – تعالى – وشرعته من أن تكون هي الحاكمة والفاعلة في كل شؤون المجتمع المسلم، فأُصيب الجانب الأخلاقي عند أبناء المجتمع المسلم بذات الدّاء الذي أصيبت به سائر جوانب حياتهم.

وانعكس هذا الواقع الأخلاقي المؤلم للمجتمع المسلم على واقع المؤسسات التربوية والتعليمية، التي تعدّ التربية الأخلاقية من أهم أوجه رسالتها الأساسية، بسبب تبنّي الدول للنظام العلماني الذي فرض أنظمة تعليمية علمانية منبثقة من القانون العلماني الذي تحكم به تلك المجتمعات. ومن هنا تمّت محاصرة المظاهر الأخلاقية الإسلامية في مؤسسات التعليم بطرق وأساليب شتّى، وتمّت عَلْمنة المناهج التعليمية، ففصلت المواد والتخصصات إلى دينية وعلمية، وتمّت عملية تفريغ العلوم الإنسانية والعلمية والمادية من إطارها الشرعي، ومن عمقها الأخلاقي، وتمت علمية تجفيف المواد ذات الصلة بالتربية الأخلاقية، باستثناء جرعات سريعة وقليلة من المواد الأخلاقية النظرية. «ونحن نلاحظ – مع الأسف الشديد – أن مادة «الأخلاق» قد أصبحت أقل مادّة تحظى باهتمام الباحثين؛ لدرجة أن عدد الدراسات التي ظهرت في المجال الأخلاقي كان ضئيلاً إلى أقصى حد، بينما ظفرت المسائل السياسية، والأيديولوجية والاجتماعية بالقسط الأوفر من الاهتمام»[18]. وهذا على مستوى العناية بتدريس مادة الأخلاق، فكيف إذا نظرنا إليها على أنها مشروع تربوي في مؤسساتنا التعليمية؟! فلاشك أن المأساة أكبر.

من هنا تعظم الحاجة إلى إعادة المؤسسات

(16) اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية (9).

(17) التربية الأخلاقية في زمن العولمة (5-6)، وأزمة الأخلاق، (22-25).

(18) المشكلة الأخلاقية (6).

التعليمية إلى رسالتها السامية في تربية الأخلاق، والحفاظ عليها، وتكوين شخصية المسلم بشكل عام، والداعية بشكل خاص.

ثالثاً- الأخلاق مقصِد من مقاصد الدعوة النبّوية:

للدعوة الإسلامية مقاصد تغييرية أساسية، من أهمها: المقصد الأخلاقي؛ بمعنى: أن التغيير الأخلاقي – على صعيد النفس، وعلى صعيد المجتمع، والجيل – هدف رئيس، وغاية مُعْتَبَرة في رسالة الإسلام ودعوته النبوية، منذ أن أشرق بها وجه الأرض. يقول الندوي في ذلك: «ذكر الله – تعالى – مقاصد البعثة المحمدية الرئيسية الأولى، وفوائدها الأساسية الكبرى في عدّة آيات من القرآن الحكيم، فقال: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: 151)، وقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: 164)، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (الجمعة: 2). ومهمة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس تشغل مكاناً كبيراً في دائرة الدعوة النبوية، ومقاصد البعثة المحمدية. وقد ذكر النبي ﷺ هذا الغرض العظيم الذي كانت له البعثة، بكلمة الحصر، فقال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[19]. وكانت هذه الحكمة والتزكية من أعظم ثمرات الصحبة النبوية، ومجالسته ﷺ وعشرته، فنشأ في أحضانه جيل تحلّى بأفضل الأخلاق وأكرم الصفات، وتجرّد عن رذائل الأخلاق، ومهلكات العادات، وذمائم الصفات، وغوائل النفوس، وبقايا الجاهلية، ومغالطات الشيطان»[20].

وهذا العمق الأخلاقي في مقصد رسالة الإسلام ودعوته، وهذا التأكيد القرآني والنبوي الواضح على ذلك، يشير إلى أن «تعظيم الأخلاق والرفع من مستواها أمر يدخل في صميم جوهر رسالة الإسلام الخالدة، وهدف أساسي من أهدافها»[21]، ومهمة رئيسة من مهمات الدعوة النبوية، تحققت بأروع صورها حيّة على أرض الواقع في حياة الصحابة – رضوان الله عليهم – حيث ربّى رسول الله ﷺ من آمن بدعوته تربية أخلاقية فريدة من نوعها، وزكّاهم تزكية شاملة لبواطن نفوسهم وظواهرها[22]. وذلك كله كان في سبيل إعداد جيل الرسالة الذي سيحملها في عهده ومن بعده إلى الناس كافّة[23]. وكان هذا الإعداد لا يقوم، ولا يستقيم ما لم يؤسّس على بُنْية أخلاقية متينة، بحيث تتمثل الأخلاق

(19) المستدرك، ح رقم (4221)، صحيح.

(20) العقيدة والعبادة والسلوك (133-134).

(21) الإعداد الروحي والخُلقي للمعلم والمعلمة (145).

(22) ربانية لا رهبانية (8).

(23) النّبي المربّي (71).

سلوكاً حيّاً في جيل حملة الرسالة الأوائل؛ لينقلوه إلى من بعدهم، وليتأثر بهم من يلحق بهم.

إن هذا التصور لمحورية المقصد الأخلاقي في دعوة الإسلام، يؤكّد الحاجة إلى التربية الأخلاقية، وإلى كونها مهمة أساسية من مهمات القائمين على أمر الأمّة، وعلى شأن الرسالة، وكما يؤكد العودة، فإنه «من هذا المنطلق وجب على المسلم التحلّي والتجمّل بالخلق الحسن، سواء كان داعية أم غير داعية؛ إذ الأخلاق من مقاصد البعثة المحمدية التي أكرم الله بها الإنسان في الأرض كلها، وخصّ المؤمنين بخصيصة منها ليست لسواهم حيث هداهم بها إلى الصراط المستقيم، وزكى نفوسهم، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:2)، والتزكية المذكورة في الآية الكريمة تشمل تزكية النفس، وتربيتها على معالي الأخلاق، وتنقيتها من رديئها. وتشير الآية إلى أن الأخلاق مقصدٌ من مقاصد البعثة المحمدية، بل من أبرز مقاصدها. وإذا كان التحلّي بالخلق الفاضل واجباً على آحاد المسلمين، فما بالك بالداعية الذي يحمل راية الدعوة وشعارها، وينادي بها بين الناس؟!»[24]. وهذا ممّا يدعو إلى الاهتمام بالتربية الأخلاقية للداعية المسلم الذي يحمل هذه الدعوة؛ ليحقق – بالدرجة الأولى – مقاصدها، وليتحقق هو نفسه بمقاصدها.

ومما يؤكد الحاجة للتربية الأخلاقية للداعية، طبيعة العمل الدعوي التي تتسم بالتنوع في الأساليب الدعوية، وبالاختلاف في طبيعة المخاطبين بالدعوة، وبالمخالطة القويّة لفئات المدعوين من مختلف شرائح المجتمع، وبالتعرض لمواقف محرجة، ولمحن وابتلاءات متعددة، ولطول الطريق وتعرجاتها، كل هذا يحتاج إلى داعية تكون الأخلاق الحميدة قد تمكنت من سوَيْداء قلْبه، وامتزجت بنفسه، وصارت جزءا لا يتجزأ من سلوكه. وهذا لا يتأتى بسهولة، بل لابد أن يخضع الداعية المسلم لعملية تربوية تعنى أشدّ العناية بجانبه الأخلاقي.

ومن جانب آخر، فإنّ الداعية إلى الله – تعالى –، من أهل العلم، ومن حملة العلم الشرعي والميراث النبوي، ومعلوم أنّ العلم لابُدَّ أن تقترن به الأخلاق، وأن العالم بدون أخلاق يكون علمه وبالاً عليه، ويكون تعليمه ممجوجاً، وتعليم الناس أمور دينهم هو من الدعوة إلى الله – تعالى –، وهذا من صميم عمل الداعية، وعليه فإن الحاجة تمسّ إلى أن يتربّى الداعية – بوصفه حاملاً للعمل الشرعي – على الأخلاق الحسنة؛ ليكون تعليمه ممتزجاً بروح الأخلاق الإسلامية، وليجد الناس فيه القدوة التي يُعاينون فيها امتزاج العلم بالتزكية، والدعوة بحسن الخُلُق، بعيداً عن التناقضات التي تبرز عند بعض أهل

(24) من أخلاق الداعية (8).

العلم والدعوة، حيث يسمع الناس منهم معرفة نظرية، بينما يلمسون منهم فظاظة وغلظة في المعاملة. وهذا من جهة أخرى يؤكد الحاجة إلى التربية الأخلاقية للداعية المسلم؛ لردم مثل هذه الفجوات، ولمنع مثل هذه التناقضات. وعلى المؤسسات الدعوية والجماعات التي تدعو إلى الله – تعالى –، أن تضع في حسبانها، وفي مناهجها وبرامجها، الأهمية القُصوى للتربية الأخلاقية، ولتزكية نفوس أتباعها من الدعاة الذين ينتمون إليها ويمثلونها؛ لكي يتجاوزوا الصور والحالات السلبية والمتناقضة بين الكلام النظري والأخلاق الواقعية، فيكونوا صورة متكاملة في حس الجماهير، تجمع الخلق والدعوة والعلم في حالة واحدة ممتزج بعضها ببعض، يصعب الفصل بينها، وبذلك تُؤتي الدعوة أكُلها، وتكون شخصية الداعية مقبولة ومحبوبة ومؤثرة.

***

المبحث الثاني

محددات تربية الأخلاق لدى الداعية

المقصود بعنوان هذا المبحث، أنه لابد – قبل البدء بعملية تربية الأخلاق لدى الداعية المسلم – من الوعي بمجموعة من المرتكزات، أو الأسس والمقومات التي تبنى عليها هذه العملية، والتي تساعد مساعدة مباشرة وقوّية على تحقيق النجاح لعملية تربية الداعية على الأخلاق، والمضي فيها على قواعد سليمة. وقد اجتهد الباحث في تحديد هذه المرتكزات التي يلزم الوعي بها، واستصحابها أثناء عملية بناء أخلاق الداعية وتربيتها، وهي:

أولاً- منهجية العملية التربوية الأخلاقية للداعية المسلم: تعدّ الدعوة إلى الله – تعالى – من أوسع مجالات العمل الإسلامي، ويعدّ الدعاة – بناء على ذلك – من الكثرة بمكان، فالعمل الدعوي متسع المكان والزمان ومجالات الدعوة. والقائم بهذا العمل – أيْ: الداعية المسلم –، يقدّم للمجتمع كثيراً من الخدمات، ويكاد يكون أكثر الناس اختلاطاً والتقاء ومعايشة لأفراد المجتمع، وهذا يتطلّب منه أن يكون على مستوى كبير من المعرفة الشرعية، كما يتطلب منه أن يكون – أيضاً – على مستوى رفيع من الأخلاق الإسلامية.

وبذلك يكون الخلق بالنسبة للداعية المسلم ضرورة كضرورة العلم الشرعي. وإدراك كون الخلق ضرورة ولازمة للداعية المسلم يعدّ خُطوة أساسية في سلّم التربية الأخلاقية للداعية ودرجة أولى فيه، ولكن مجرّد هذا الإدراك لا يكفي؛ لأن المطلوب هو تحقيق تلك الأخلاق في نفس الداعية وحياته وسلوكه؛ ولذلك يلي هذا الإدراك لضرورة أخلاق الداعية، الوعي الصحيح بأن بناء الأخلاق في شخصية الداعية، وتربيته عليها، لابد أن تكون قضيّة منهجية ومؤسّسية. بمعنى، أنه لا يكفي أن يظنّ القائمون على الدعوة أن تحقيق الأخلاق

وتربيتها في نفوس الدعاة، واستمرارها فيهم، وتأصّلها في سلوكهم، يكفي فيه العمل الفردي أو الاجتهاد الأحادي، أو مجرّد إلقاء دروس ومواعظ في الأخلاق على الدعاة من قبل من هم أكبر شأناً وعلماً منهم؛ فإن هذا قد يحقق شيئاً ما من بناء الأخلاق لدى الدعاة، أو يزيد من عنايتهم بها، ولكنه بالتأكيد غير كافٍ لتخريج أعداد من الدعاة تتمثل فيها قيم الإسلام الأخلاقية سلوكا حيّاً في واقعهم.

ولذلك يرى الباحث أن الطريق الأكمل والأكثر متانةً وعلمية، هو أن تتحول عملية بناء أخلاق الداعية وتربيتها إلى عملية منهجية مؤسسية، حيث توضع الخطط والمساقات الجامعية، وتختار الكتب والمقالات المتصلة بموضوع أخلاق الدعاة، ويتم تصنيفها ضمن مستويات وبرامج، ويختار لها أهل الاختصاص والقدوات في مجال التربية والأخلاق والدعوة وعلم النفس، ويكون ذلك في إطار مؤسّسي، إما بحجم محدود داخل جماعة، أو حزب أو مجموعة، وإما بحجم موسع تقوم به مؤسّسات تربوية ودعوية متخصصة.

وبذلك يكون قد اتضح هذا المرتكز، واتضحت أهمية الوعي به، والذي يفرض على الدعاة، وعلى القائمين على شؤون الدعوة والدعاة، ضرورة الوعي بأن عملية تربية الأخلاق لدى العاملين في حقل الدعوة، لابدّ أن تكون عملية منهجية مؤسّسية، لها أصولها العلمية والتطبيقية المدروسة بدّقة وإحكام، والقائمة على التنظيم والنظام؛ بغية الحصول على مخرجات دعوية ذات صفات وسلوكات أخلاقية راقية. ومثل هذا الوعي بهذا المرتكز يساعد – بلا شك – على تجاوز حالات الفشل التي قد تُري في بعض التجمعات الدعوية، حيث يظهر ضعف المستوى الأخلاقي التطبيقي لدى بعض فئات الدعاة المنتمين لها. وكذلك الحال عند بعض الدعاة الذين يعملون منفردين؛ ولذلك فإن الوعي بمثل هذا المتركز وتفعليه على أرض الواقع، يساعد على تجاوز نقاط الضعف هذه، ويوجد بديلها نقاط قوّة.

ثانياً- علاقة الأخلاق بالطبيعة الإنسانية: يعد الإنسان الحلقة المحورية التي تدور على رحاها العملية التربوية برمّتها، فالإنسان هو موضوعها وميدانها وهدفها. ولا يمكن لأي تربية أن تنجح ما لم تدْرك طبيعة هذا الإنسان، وتحدد وجهة نظرها فيه. من هنا تختلف التربية[25] من مجتمع إلى آخر، ومن فلسفة إلى أخرى، بحسب الفهم لطبيعة الإنسان والموقف منه والنظرة إليه. وبما أن التربية الأخلاقية هي جانب من التربية عامة، فإنها تتأثر كثيراً بالنظرة للطبيعة الإنسانية. وإذا ما أرادت المؤسسات الدعوية وقادة الدعوة من العلماء القائمين على أمر الدعوة تحقيق تربية أخلاقية ناجحة للدعاة،

(25) مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية (15-54)، ومفهوم المدارس الفلسفية للطبيعة الإنسانية (100-120).

فلابّد أن يكون لديهم وعي تام وموقف علمي واضح من الطبيعة الإنسانية؛ لأن ذلك سيؤدي إلى تعامل سليم مع مكونات الداعية النفسية، وجوانب شخصيته. ومما لا شك فيه أن التربية الأخلاقية للداعية المسلم الواعية للطبيعة الإنسانية، لابدّ لها من أن تتبع وجهة النظر الإسلامية في الطبيعة الإنسانية.

ولعلّ من أهم جوانب النظرة الإسلامية للطبيعة الإنسانية: أن الإنسان مخلوق، وأصله إنسان منذ خلقته، ومكوّن في أصله من جسد وروح، وبتفاعلهما وامتزاجهما صار هذا الإنسان، وهو مولود على الفطرة: فطرة التوحيد، ومعرفة الله، والإيمان به، وهذا مركوز في فطرته، وهو حرّ ومختار، وله إرادة، بمعنى: أنه يستطيع أن يسلك طريق الخير أو طريق الشر، وبإرادة منه يفعل هذا، أو يترك ذاك. وهو وإن كان مخيّرا وحراً في أغلب جوانب حياته، فإنه مسيّر في بعضها المحدود، مثل مولده، وجنسه، ولونه، ومرضه، وموته، وغير ذلك، مما لا يحاسب الله – تعالى – عليه هذا الإنسان، وهو – في النظرة الإسلامية – مخلوق مكرّم، ومعيار أفضليته عند الله بالتقوى[26]. وهذه المعرفة بالطبيعة الإنسانية أساسية لمن يعمل في حقل التربية الإسلامية، ومنها التربية الأخلاقية للمسلم العادي، أو للمسلم الداعية.

ويوضح الكيلاني الحاجة إلى النظرة الإسلامية لمعرفة أعمق بالطبيعة الإنسانية، والتي تساعد على نجاح التربية الأخلاقية، وذلك بقوله: «السلوك الأخلاقي ليس ثمرة حركات مشهودة تتطابق مع قوانين ومبادئ محدودة، فالإنسان ليس آلة توجهها قوانين فيزيائية، ولا هو حيوان توجهه دوافع غريزية غير واعية، فالعمل الإنساني له هدف مقصود، أي: أن الإنسان يعرف ما يعمله ويعيه، وهو يعمله باختياره. ويقدم القرآن الكريم العديد من التوجيهات التي تتعلق بالطبيعة الإنسانية، ومحددات السلوك البشري. فهو يذكر – مثلاً – أن الإنسان خُلق في أحسن تقويم، وأنّه يرتدّ إلى أسفل سافلين، وأن الإيمان هو الذي يرتقي به ثانية إلى منزلة أحسن تقويم، وأنه خلق في كَبَد، وأنه خلق أمشاجاً ليبتلى، ولينتهي إلى الغاية النهائية من خلقه، وهي معرفة الله وعبادته»[27]، وغير ذلك من معالم النظرة القرآنية الصادقة في وصف طبيعة هذا الإنسان.

وفيما يتعلق بموضوع هذه الدراسة تحديداً، فإن الوعي بالطبيعة الإنسانية – وهي مشترك بين البشر، ومنهم الداعية – يعدّ في علم التربية، وفي علم النفس، ضرورة لمن يريد أن يعمل على تغيير النفس الإنسانية. وبما أن موضوعنا تربية الداعية أخلاقياً، فهذا يعني العمل على تغيير أخلاقيات الداعية المسلم إلى الصورة

(26) منهج التربية في التصور الإسلامي (123–160)، ومدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة (23–42).

(27) اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية (96–97).

الإيجابية، وجعلها نمطاً في حياته، وهذا ينجح بشكل أفضل، ويتم بصورة تربوية علمية، إذا ما بُني وفقاً لعملية تربوية أخلاقية يتم فيها استيعاب معطيات النظرة الإسلامية في الطبيعة الإنسانية – التكوين النفسي للداعية –؛ لأنه على أساسها يتم تحديد العوامل المؤثرة في أخلاقيات الداعية، وطبيعة الأخلاق التي يحتاجها، وواقعية السلوك الخلقي، ومراعاته للطاقة الإنسانية، وهل يكون التركيز على الأخلاق الظاهرة المتصلة بالجوارح، أو لابد أن يعنى بالأخلاق الباطنة كذلك؟ وهل يمكن أن تكون أخلاقه في جانب منها فطرية، وفي جانب آخر مكتسبة؟ وغير ذلك من جوانب العملية التربوية وأسسها، التي لابدّ أن يفهمها، ويراعيها القائمون على بناء أخلاق الداعية وتربيتها والمحافظة عليها؛ لأن ذلك يُعَد عاملاً حاسماً في نجاح تربية الداعية المسلم أخلاقياً.

ثالثاً: قابلية الأخلاق للتغيير: من المرتكزات المحورية في عملية تربية الداعية على الأخلاق، القناعة بفكرة قابلية الأخلاق للتغيير – أعني: أخلاق الإنسان نفسه، لا مفاهيم الأخلاق الثابتة – وبدون وجود هذه القناعة تحديداً تتعطل العملية التربوية برمتها؛ لأن أساسها ينهار. ولذا وجب على المشتغلين بتربية الدعاة، والقائمين على بناء سلوكهم الأخلاقي، الوعيُ الكاملُ بهذا المرتكز، والقناعة التامّة بمضمونه، فالتربية تعني إحداث تغيير إيجابي، وعليه لا تربية دون هذا المرتكز.

ومع ما قد يبدو عليه هذه المرتكز من وضوح وصدق فكرته، وهي «قابلية الأخلاق للتغيير»، فإنه وجدت بعض الآراء من أصحاب الاتجاهات الفلسفية والأخلاقية والتربوية قديماً وحديثاً، تقول: إن الأخلاق غير قابلة للتغيير[28]. وتقول: إن ميولنا الحسنة والقبيحة التي نجيء بها إلى هذا العالم عند ولادتنا هي في طبيعتنا، وأنه لا يمكن أن نجعل من غليظ القلب رجلاً رحيماً؛ لأن الفروق الخلقية غرزية ثابتة، وما الخبيث في خبثه الموروث إلا كالأفاعي بأنيابها وجيوبها السّامة، فلا يمكن أن تتخلص هي، ولا كذلك هو، مما هم عليه[29]. فالخلق عند هؤلاء من جنس الخِلْقة، لا ينتقل عن الإنسان، ولا يستطيع أحد تغيير ما جبل عليه من خير أو شر، تماما كلونه وكأجزاء جسمه[30]. فهؤلاء نظروا إلى الخُلق على أنه طبع، فزعموا أن الأخلاق لا يتصور تغييرها، تماماً كالطباع التي يطبع عليها الإنسان[31]. والخلاصة أن شبهة أصحاب هذا الرأي تقول: إن «الناس يولدون أخياراً أو أشراراً، كما يولد الحَمَل وديعا، والنمر مفترساً، وأنه لا يمكن تغيير الشرّ الكامن في

(28) مدرسة الدعاة (1/ 120)، ومفهوم السلوك الخلقي (75).

(29) المسؤولية الخلقية (27).

(30) المرجع السابق نفسه.

(31) إحياء علوم الدين (3/ 59).

الإنسان، كما لا يمكن تغيير الخير المتأصّل فيه»[32]. ولا شك أن تسرّب هذه الشبهات إلى القائمين على تربية الدعاة وأخلاقهم يعني انحراف عملية التربية وبناء أخلاقهم في جوهرها، وأن تأثر الدعاة أنفسهم بهذه الشبهة، يعني تسرّب اليأس إلى نفوسهم، ووقوفهم في أمكنتهم. من هنا تأتي أهمية مناقشة هذه الشبهة، وبيان صحة الرأي القائل بإمكان تغيير الأخلاق، وقابليتها للتغيير؛ لأن هذا ينعكس إيجابا على الدعاة أنفسهم، وعلى دعوتهم للناس؛ لأنهم هم أساس التغيير في المجتمع، وهدفهم هو التغيير. ويمكن المناقشة وبيان وجهة النظر السليمة، من خلال الآتي:

- تدلّ منهجية التربية في الإسلام وتقريرات النصوص الشرعية على قابلية الذات الإنسانية لتغيير أفكارها وسلوكها بكل أنواعه. كما في قوله – تعالى –: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس: 7-10). فالآية تكشف عن حقيقة من حقائق النفس الإنسانية، ومكوناتها، واستعداداتها، وقدراتها. فهي فيها من الإمكانات ما تستطيع أن تكون به نفساً فاجرة، وسيئة في أخلاقها وسلوكها وأفكارها، وأن تكون نفساً تقية في إيمانها ومسلكها وأعمالها وأخلاقها. ثمّ تأتي الدعوة القرآنية صريحة إلى سلوك طريق الفلاح، وذلك بتزكية النفس، وتزكيتها تعني تغيير أفكارها وسلوكها وأخلاقياتها إلى الأحسن والأكمل. والحذر بالمقابل من تدسية النفس بالمعاصي والشرور والأخلاق السيئة؛ لأن هذا سيكون من مسالك الخيبة والخسران. فالنصّ غاية في الوضوح في دلالته على إمكان تغيير النفس، وقابلية الأخلاق للتغيير، وكذلك الدلالة ذاتها في قوله – تعالى –: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: 10)، وقوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجّسانه)[33]. ففي هذا الحديث إشارة واضحة إلى أثر الأهل في تغيير قناعات وسلوكيات الابن. وهذا يشمل الأخلاق وقابليتها للتغيير. وعليه فالداعية المسلم يقتنع من الشرع ابتداء بإمكانية أن يغيّر أخلاقه، والقائمون على تربيته يأخذون قناعتهم التربوية هذه من نصوص الشرع كذلك، ويرفضون كل دعوى تقول بعدم قابلية الأخلاق للتغيير، وهذا من شأنه أن يساعدهم على تربية الدعاة أخلاقياً، والارتقاء بهم إلى الأكمل.

- يدل العقل على بطلان القول بعدم قابليّة أخلاق الإنسان للتغيير، وأن المنطق هو قبولها للتغيير، فلماذا « تهتمّ الحكومات في وضع المناهج والقوانين، وتشرف على تأسيس المدارس والمعاهد والجامعات؟ ولماذا تقوم وزارات التعليم والتربية على تعيين المعلمين والمختصّين من علماء الاجتماع وأساتذة التربية

(32) مدرسة الدعاة (1/ 220-321).

(33) صحيح البخاري، ح رقم (1358).

والأخلاق؟ أليس ذلك من أجل التعليم والتأديب وتقويم الاعوجاج؟ أليس من أجل أن يكون الإنسان مستقيماً متوازناً صالحاً للحياة؟ أليس من أجل أن يتحلّى الإنسان بالفضائل، ويتخلّى عن الرذائل؟»[34].

فالعقل الإنساني – منذ حضاراته الأولى إلى زماننا هذا – ما زال يبحث، ويفكر في علمية تغيير الإنسان، وتعديل أحواله، وتطوير سلوكه، فيضع من السياسات والأعراف والأحكام والفلسفات ما يضبط به هذا الإنسان وما يبني به حضارته. ولو كان تغيير الإنسان متعذراً، لما كان للعقل الإنساني عمل إيجابي في صناعة الحياة وبناء الإنسان، بل ولا لتفكيره وجود أصلاً. لذا فإن عَملَ العقل وإنتاجه يؤكدان إمكان تغيير فكر الإنسان وسلوكه، ومن ذلك أخلاقه.

– الملاحظ في عالم الحيوان، «أن الإنسان وُفِّق في كل عصوره إلى نقل طباع الحيوان من النفور إلى الإلْف، ومن الصعوبة والحزونة إلى السلاسة والانقياد، حتى إن الإنسان ليرقّص الخيل، ويلاعب الطير، ويعلّم الجوارح، فإذا كان هذا هو الشأن في غرائز العجماوات التي لا تعقل، فكيف بالغرائز الإنسانية التي أثبت علم النفس المقارن أنها أسلس قياداً، وأعظم مرونة، بسبب قبولها المزج والتعديل والتقويم؟»[35]. ولذا لا يقبل القول بأن سلوك الإنسان وأخلاقه لا يمكن تغييرها في حين يمكن ذلك في عالم الحيوان.

– يُقدّم الواقع الاجتماعي دلالات حيّة على إمكان تغيير أخلاق الإنسان، «فنحن نشاهد الجَبان تحوّل بالمجاهدة والتدريب إلى شجاع، كما نرى الكذوب، بالتربية والتعليم أصبح صادقاً، وكم رأينا من رجال ساءت أخلاقهم عندما خالطوا الأشرار، وكم من رجال حسنت أخلاقهم عندما هدوا إلى الإيمان والأعمال الصالحة»[36]. والواقع يشهد بمئات الحالات من أولئك التائبين الذين كانوا في الماضي أصحاب سلوك وآراء ومواقف سيئة، ثم أصبحوا بعد توبتهم أناساً صالحين ومستقيمين، وتحوّلت أخلاقهم بشكل كبير إلى الحالة الإيجابية.

– يدرك الداعية المسلم أن تغييره لأخلاقه أمر طبيعي، ولا يمكن الذهاب إلى الاقتناع بضدّه بأي حال من الأحوال، وإلا لماذا هو مكلّف أصلاً؟ ولماذا أعطاه الله الحرّية؟ ولماذا توجد المسؤولية والمحاسبة؟ ولماذا توجد الدعوة إلى الله، تعالى؟ ولماذا أرسل الله رسله، وأنزل كتبه؟ لا شك أن كل هذه المفاهيم، والأسئلة المشروعة والواقعية تؤكد للداعية أن عليه السعي الدؤوب لتغيير أخلاقه إلى الصورة الأمثل والأقرب للشرع، وأن ينبذ كل الآراء التي تشكك في قدرته على

(34) مدرسة الدعاة (1/ 221).

(35) المرجع السابق نفسه.

(36) نحو ثقافة إسلامية أصلية (162).

تغيير أخلاقه، أو تضعف قناعاته، وكما يقول أبو حامد الغزالي: «لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات»[37]. والنبي ﷺ تضمنت شريعته الدعوة الصريحة إلى العمل على تغيير الأخلاق إلى الصورة الأكمل، كما في قوله ﷺ: (إنما العلم بالتَعلّم، وإنما الحِلْم بالتحَلّم، ومن يتحَرّ الخَيرَ يعْطَه، ومن يتوقّ الشرّ يوقه)[38]. وفي هذا تأكيد واضح على إمكان اكتساب الأخلاق بالممارسة والرياضة والمحاولة، والداعية أَوْلى الناس بالأخذ بهذه الوصية التربوية والأخلاقية.

إن وعي المربيّن بهذا المرتكز «قابلية الأخلاق للتغيير» يعد دعامة أساسية في العملية التربوية المتصلة ببناء الداعية المسلم أخلاقياً، وتقود إلى الفَأْل والقناعة الذّاتية بإمكانية الارتقاء بالنفس، وتطويرها، وتهذيب فروعها المعوجّة. وهذا ما يجعل القائمين على مشاريع تربية الدعاة والبرامج التربوية والعملية التي تصبّ في تحسين أخلاق الدعاة، ينجحون في أن يقود الدعاة أنفسهم من بعد ذلك عملية تهذيب أخلاق المدعوين، وتزكية نفوسهم.

رابعاً- فقه الفروق الأخلاقية: تتمّ عملية بناء الأخلاق وتربيتها في شخصية الإنسان بعامة، والداعية بخاصّة، وفق مرتكزات علمية تؤدي إلى أن تحقق هذه العملية أهدافها بنجاح. ولعلّ من تلك المرتكزات – إضافة لما ذكر سابقاً – فِقْه الفروق الأخلاقية. ويقصد الباحث بهذا المرتكز، أن يكون القائمون على تربية شخصية الداعية على وعْي ودراية بالفروق الفردية من حيث مستويات الالتزام الأخلاقي عند الدعاة، وعلى فهم علمي دقيق للفروق الدلالية للمفاهيم الأخلاقية التي قد تتشابه، أو تتناظر، أو يقع نوع من التداخل في معانيها أو المقابلة.

فالفرق في مستوى الالتزام الأخلاقي راجع إلى أصل الفروق الفردية الذي خلق الله – تعالى – عليه بني آدم، فمع «وجود تشابه في كثير من الخصائص التطورية للشخصية، إلا أن هناك فروقاً واضحة بينها. فقلّ أن يُرى اثنان متشابهان من كل الوجوه. وتتضح الفروق الفردية في قوله رسول الله ﷺ: (إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ جاء منهم الأحمرُ، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسّهل والحزن والخبيث والطيب)[39]. وقال رسول الله ﷺ: (الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)[40]. فكما أن المعادن تختلف فيما بينها في خصائصها

(37) إحياء علوم الدين (3/ 58).

(38) المعجم الكبير، ح رقم (1763)، حسن.

(39) سنن أبي داود، ح رقم (4695)، صحيح.

(40) صحيح مسلم، ح رقم (6877).

الطبيعية والكيميائية، كذلك الناس يتباينون في خصائصهم الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية»[41]. ويرى حبنكة في قول الرسول ﷺ: (الناس معادن)، أنه دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية[42]. وهذه الفروق الفردية تشمل – أيضاً – الجانب الأخلاقي، ومستوى الالتزام بالقيم الخلقية، إذ يتفاوت الناس في ذلك لعوامل عديدة، ترجع إلى عوامل جبلية وراثية، وإلى عوامل بيئية مكتسبة.

وكذلك لابدّ من مراعاة هذه الفروق الفردية في مستويات تقبّل الأخلاق والالتزام بها أثناء عملية تغيير الأخلاق وبنائها[43]. وعلى من يقوم بعملية تربية الدعاة أخلاقياً، أن يكون على وعي تام ودراية كاملة بهذا الجانب من مرتكز الفروق الأخلاقية؛ حتى ينجح في عمليته التربوية الأخلاقية هذه؛ إذْ إن الدعاة أنفسهم لابد أن يتفاوتوا، ويختلفوا من حيث قوة تقبلهم للأخلاق الحسنة، وتركهم للأخلاق السيئة، ومن حيث سرعة استجابتهم في تغيير سلوكهم الأخلاقي إلى الأحسن والأكمل. والمربيّ الفقيه الذي لا يكون على دراية بذلك، ربّما يسبب له هذا حالات من الشعور بالفشل، أو تكليف الدعاة بما لا يطيقون، أو المقارنة بينهم بما يسبب لبعضهم الحرج، أو السعي إلى تحقيق أهداف تربوية أخلاقية تكون بالمستوى نفسه لدى جميع الدعاة، وهذا بالتأكيد أمر بعيد المنال. فالفروق الفردية قائمة في شخصيات الدعاة، كما هي في غيرهم من الناس. ولابدّ من مراعاتها وتوجيهها واستثمارها بالشكل الأنسب، كلّ بحسب ميوله واستعداداته. فقد يجد المربيّ عند بعضهم إمكانات هائلة لتنمية أخلاقيات الحِلْم والصبر أكثر من غيرهم، وعند بعضهم الآخر أخلاقيات القوة والشجاعة، وهكذا.

والجانب الآخر لمرتكز فقه الفروق الأخلاقية، هو الفهم الدقيق لمعاني بعض الأخلاق التي قد يلتبس معناها، أو يتشارك مع غيره. وقد تنبّه ابن القيم إلى هذا المسلك العلمي الدقيق، فقدّم إضافة علمية نافعة في هذا الجانب في كتابه الروح[44]. فمن ذلك، قوله: «والفرق بين التواضع والمهانة: أن التواضع يتولد من بين العلم بالله – سبحانه – ومعرفة أسمائه وصفاته، ومن معرفته بنفسه، فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع، وهو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذّل والرحمة بعباده. وأما المهانة، فهي الدناءة، والخسّة، وبذل النفس، وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها. والفرق بين الرجاء والتمنّي: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة، والتمنيّ حديث النفس بحصول ذلك، مع

(41) الشخصية الإنسانية: منظور نفسي إسلامي (133-134).

(42) الأخلاق الإسلامية (179).

(43) مفهوم السلوك الخلقي (86-87).

(44) الروح (308-350).

تعطيل الأسباب الموصلة إليه»[45] إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة والمُفيْدة.

ومن فقه الفروق الأخلاقية الذي يعدّ ضرورة لكل من يهتم بقضية الأخلاق، ويعمل على تربيتها أو تعليمها، هو الفهم السليم لفكرة «وسطية الخُلُق». فمن الآراء الشائعة أن الخلق الحميد هو دائما يكون وسطاً بين طرفين، هما الإفراط والتفريط. ولكن هل هذه القاعدة صادقة على الأخلاق الإسلامية، بإطلاقها؟ يقول عثمان جمعة: «واعتبار الخُلق أو الفضيلة وسطاً بين طرفي الإفراط والتفريط، ليس قاعدة إسلامية مسلّمة. وإنما هي نوع من التحليل اليوناني لفلسفة الأخلاق، اقتبسه بعض الأخلاقيين الإسلاميين»[46]. فمثلاً الإنفاق في سبيل الله لا حدّ له، ولكن الإنفاق الشخصي والدنيوي هو الذي له حدّ، وكذلك بذل النفس في سبيل الله لا يعدّ تهوراً، ولا وسطا بين الجبن والتهوّر[47]. وكذلك خلق الصدق، لا يمكن القول بأنه وسط بين طرفين، بل يقابله الكذب فقط، وكذلك خلق الأمانة وهكذا، فالقاعدة ليست مطردة.

وعليه، فمن يتصدّى لتربية الدعاة وبناء أخلاقهم بناء إسلامياً صحيحاً، لابد أن يكون على وعي بهذا الجانب المتصل بفقه معاني الأخلاق ودلالاتها، والفروق الدقيقة بين معاني متشابهاتها أو متقابلاتها. وأن يكون كذلك على معرفة بمفهوم الوسط والاعتدال في بعض الأخلاق الإسلامية، وهذا كله يجعل عملية تربية الدعاة أخلاقياً، عملية واعية وسليمة، تقوم على أسس علمية ومرتكزات واقعية، تسهم في إعداد داعية مسلم تتمثل فيه الشخصية المرغوبة إسلامياً. فلا يقع الخلط في سلوكه الأخلاقي بين الكِبْر والمهابة، ولا بين الحسد والمنافسة، ولا بين التواضع والمذلّة، ولا بين النصيحة والتشهير، ولا بين التملّق والنصيحة، ولا بين الحرية والفوضى، ولا بين التعصب والتسامح، ولا بين العفو والمذلّة، ولا بين الجبن والتقاعس. بل تكون أخلاقه كالميزان، يتعامل مع كل موقف بما يناسبه من خلق إسلامي.

خامساً- المصدرية الشرعية للأخلاق: للوصول إلى بناء أخلاقي مقبول ومعتدل، لابد من التعامل مع المصدرية السليمة للأخلاق؛ لأن كل شيء يتوقف عليها، وفي التربية الإسلامية، لابد من اعتماد المصادر الإسلامية المعتبرة في استمداد قائمة الأخلاق، وتقرير ما ينبغي أن يعتبر، وأن يُبنى عليه المسلم.

والقائمون على تربية الداعية أخلاقياً، لابد أن يكون واضحاً لديهم أن المرجعية المعتبرة التي يستقون منها كل مفرداتهم الأخلاقية، هي مرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية، وما ينبثق عنهما؛ لأنه بذلك يتم اعتماد

(45) الروح (309-312).

(46) وسطية الإسلام والأمة المسلمة (65).

(47) المرجع السابق نفسه.

الوحي مصدراً للقيم الأخلاقية التي تصوغ شخصية الداعية المسلم، وبها فقط يتم ضمان مخرجات تربوية متزنة وسليمة وبعيدة عن الهوى؛ لأن اعتماد العقل وحده مصدراً لتربية الأخلاق، أو الفلسفات البشرية فقط، سيقود حتماً إلى بناء معوج، وشخصية متذبذبة، خاضعة لأهواء وتوجهات قاصرة.

فالتربوي المسلم الذي يعمل على صياغة شخصية الداعية المسلم أخلاقياً، ويقوم بعمل جادّ وكبير في تربيتها على قيم الإسلام الأخلاقية، يلتزم بما جاء به الوحي من مفاهيم أخلاقية، ويعمل على غرسها في النفوس، وتطبيقها في أرض الواقع وفقاً للمعاني والدلالات الإسلامية، في سبيل تحقيق مقاربة أخلاقية عند الداعية للشخصية القرآنية.

***

المبحث الثالث

سُبل تربية الداعية أخلاقياً

يعدّ البحث في سبل بناء الأخلاق في شخصية الإنسان من أهم مباحث الأخلاق العملية والواقعية. فعليه المعوّل في أن تحقق التربية الأخلاقية أهدافها. وقبل الحديث عن سبل بناء الأخلاق وتربيتها لابدّ من التأكيد على ثلاثة أمور هي:

الأول: أن مسألة بناء الأخلاق وتربيتها مسألة ممكنة الحصول، بمعنى: أن الأخلاق – من المفاهيم والسلوكيات – قابلةٌ للاكتساب لدى النفس الإنسانية، وهذه المسألة تناقش تحت عنوان قابلية أخلاق الإنسان للتغيير – وهو ما يعرف في علم النفس بتعديل السلوك الإنسان[48]. وعليه فحينما يتم البحث عن سبل بناء الأخلاق، فإنما يتمّ مناقشة قضيّة واقعية وممكنة الحدوث.

الثاني: أن شرط بناء الأخلاق وحدوث التغيير الإيجابي الأخلاقي في شخصية الإنسان، هو أمر مرتهن – بالدرجة الأولى – بمدى استعداده لذلك، وبمدى بذله للجهد. فالتغيير لا يتأتى بالأماني، بل بالأخذ بأسبابه. والله – تعالى – يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ (العنكبوت:69)، ويقول – سبحانه –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ (الرعد: 11). وعليه، فالداعية المسلم الذي يسعى إلى التميّز الأخلاقي لابد له من بذل جهد واضح في سبيل ذلك.

الثالث: أن سبل بناء الأخلاق وتربيتها، تقع تحت دائرة الاجتهاد من حيث أنواعها، فهي متعددة ومتجددة، وترجع إلى الخبرة البشرية؛ لأنها وسائل وأساليب. وقد قام علماء التربية والسلوك قديماً وحديثا على تحديد تلك السبل، والكلام عليها، واختيار الأكثر فائدة منها. وقد اجتهد الباحث هنا في اختيار جملة من السُبل، المتوافقة مع أصول تربيتنا الإسلامية، والتي

(48) تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية (43، 75).

سيكون لها أثرها الواضح في بناء أخلاق الداعية المسلم، وفي تربيته على القيم الأخلاقية الرشيدة، ومحافظته عليها. وفيما يأتي بيان لتلك السُّبُل:

1 - **التعليم**: يعتمد نمو الإنسان وتطور حياته في هذه الحياة الدنيا على التعليم بشكل أساسي، فبالتعليم تنمو شخصية الإنسان، وبالتعليم تقوم حضارة هذا الإنسان. ويعرف التعليم عند أهل الاختصاص بأنه: «توفير الشروط المادية والنفسية، التي تساعد المتعلّم على التفاعل النشط مع عناصر البيئة التعليمية في الموقف التعليمي، واكتساب الخبرة، والمعارف، والمهارات، والاتجاهات، والقيم التي يحتاج إليها هذا المتعلم وتناسبه، وذلك بأبسط الطرق الممكنة»[49]. ولا شك أن الجانب الأخلاقي في الحياة الإنسانية عموما، له حظه الكبير من التعليم، فهو يخضع بين أفراد الأسرة والمجتمع والحضارة إلى عملية تعليم مستمرّة، تنتقل من جيل إلى آخر، ومن بيئة إلى بيئة.

وفي المنهج التربوي النبوي، يعدّ التعليم ركيزة أساسية، لا يتأتى لهذا المنهج تحقيق غاياته دون التعليم، ويحدد القرآن الكريم أسس مسار الهدى، بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (آل عمران: 164). وبناء على ذلك، فإن برنامج الإعداد لأولئك الذين يبلغون هدى الله في مسعاهم، له مفردات أربع: تلاوة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب، وتعليم الحكمة. والكتاب هو أساس التشريع، يشرّع للإنسان ما ينبغي له أن يسلكه من مسلك الأخلاق وغيرها[50]. فالمنهجية التربوية النبوية تعتمد التعليم سبيلاً رئيساً في إحداث التغيير، وإيصال الهدى، وبناء النفس والمجتمع من كل الجوانب، ومنها الجانب الأخلاقي.

وقد عدّ علماء الأخلاق وفلاسفتها ومربّوها عملية التعليم إحدى الاتجاهات الأساسية في عملية بناء الأخلاق، وغرسها في نفوس الناشئة والمتعلمين والمرتبين. فرأى بعضهم «أن التربية الأخلاقية هي تكوين بصيرة أخلاقية عند المرء، بها يستطيع التمييز بين الخير والشر، ويدرك، ويقتنع تماماً أن الخير في الفضيلة، والشرّ في الرذيلة؛ لتتربى فيه الأخلاق الفاضلة من ذات نفسه»[51]. ورأى بعضهم – أيضاً – أن التربية الأخلاقية هي «تلقين المبادئ الأخلاقية للناشئين، وإلقاء دروس في علم الأخلاق كدروس العلوم الأخرى»[52]. وقد أكد عدد من علماء السلوك المسلمين[53] قديماً وحديثاً أن التعليم هو أحد الطرق الرئيسة في اكتساب الأخلاق الحميدة.

(49) طرائق التدريس العامة (21).

(50) النبي المربيّ (74، 77).

(51) جوانب التربية الإسلامية (298).

(52) المرجع السابق نفسه.

(53) مدارج السالكين (2/ 244)، وجوامع الآداب (132).

وعليه، فإنّ القائمين على بناء أخلاق الدعاة، وتربيتهم التربية الأخلاقية الصحيحة، يجب عليهم أنْ يسلكوا سبيل التعليم من أجل الوصول إلى أهدافهم، فيعملوا على تعليم الدعاة الأخلاق الفاضلة، وتدريسهم إياها بمختلف أساليب التدريس التقليدية وغير التقليدية، فمن أساليب وصور التعليم التي يمكن أن يسلكها المربيّ والعالم مع الداعية:

– أن يقوم بشرح المفاهيم والقيم الأخلاقية الواردة في الكتاب والسنة للدعاة مسلسلة متتابعة، شرْحاً علمياً وافياً مدعماً بالنصوص الشرعية.

– أن يستخدم طريقة «التوجيه والتدخل المباشر»، وهي طريقة تعتمد على تلقين وغرس القيم الأخلاقية وتشريبها للدعاة، دون إعطائهم فرصة للمناقشة والمحاورة، بحيث يتوّلى المربيّ فيها توجيه سلوكهم الأخلاقي نحو ما هو مطلوب، ويعمل على إثابة السلوك الأخلاقي الحسن[54].

– أن يستخدم طريقة حل المشكلات[55]، بحيث يفسح المجال للداعية المتربيّ لأن يتصدّى للمشكلات الأخلاقية، ويناقشها، ويفكّر في حلها، وتوجيه الموقف الأخلاقي فيها صوب الاتجاه الصحيح الموافق للشريعة الإسلامية.

– أن يستخدم أسلوب ضرب المثال. فهو أسلوب تعليمي مؤثر ونافع، وبخاصة في باب تعليم السلوك وتربية المتعلم عليه. فيمكن للمربيّ أن يقدّم للدعاة أمثلة عديدة على مواقف تتجلى فيها الأخلاق، يشرح من خلالها خلقا معينا في سبيل إيضاحه من جهة، وفي سبيل تعليمه وتربيته من جهة أخرى.

– أن يستخدم أسلوب الوعظ والقصّة. وهو من الأساليب المؤثرة في الوجدان تأثيراً كبيراً، حيث يعمل المربيّ على وعظ الدعاة في باب الأخلاق وترقيق قلوبهم، وعرض القصص المؤثرة التي تحمل في طيّاتها قيماً أخلاقية. وهو ما سيؤثر حتماً في نفوس الدعاة المستمعين والمتعلمين وفي عواطفهم، ويحملهم على تعلم هذه القيم، والتأثر بها، ومحاولة الالتزام بها.

– أنْ يطلب القائم على تربية الداعية أخلاقياً من سائر الدعاة القيام بمطالعة سير الأنبياء والصالحين والعلماء، والوقوف على الصفحات الأخلاقية الناصحة في سيرتهم وحياتهم وتعاملاتهم وكفاحهم الديني. فذلك سينعكس إيجابا عليهم، وسيتعلمون كثيراً من الدروس والعبر والقيم الأخلاقية. وهذا الأسلوب يعرف بأسلوب التعلّم الذّاتي. وهذا له أثره المؤكّد؛ لأن الداعية يقرأ سير من يخطو على درْبهم، ويرى المفاهيم الأخلاقية واقعاً عمليا في رحلة حياتهم الدنيوية والدّينية.

إن هذه الأساليب التعليمية والتعلميّة وغيرها،

(54) التربية الأخلاقية في زمن العولمة (16).

(55) طرائق تدريس التربية الإسلامية (287–293).

تساعد كثيراً على أن تحقق عملية تربية الدعاة أخلاقياً أهدافها وغاياتها في تخريج شخصية دعوية ذات قيم أخلاقية حقيقية. ولا شك أن نجاح سبيل التعليم هذه يعتمد على معلم متكامل الصفات، ومنهاج تعليمي أخلاقي متقدّم، وبيئة تعليمية سليمة، وغير ذلك من شروط نجاح العملية التعليمية.

2- **الاعتياد**: بما أن الحديث عن الأخلاق وتربيتها، فهو في صميم الموضوعات العملية. فالخُلق سلوك عملي وحيوي أكثر منه فلسفة نظرية. والتربية عملية تغيير وبناء. ومن هنا يكتسب أسلوب الاعتياد أهمية كبرى في عملية بناء أخلاق الداعية. وقد ركز علماء الأخلاق وفلاسفته كثيراً على هذا الأسلوب، حتى أصبح اتجاها عاماً عند المهتمين بالتربية الخلقية، حيث يرى أصحاب هذه الاتجاه «أن التربية الأخلاقية هي الاعتياد على المبادئ الأخلاقية، وممارستها من الصغر زمناً طويلاً، حتى تصبح عادة، بحيث تصدر عن المرء تلقائياً من غير تفكير ورويّة، كما تصدر الأفعال الغريزية أو الطبيعية؛ لأنها عندئذ تُصْبح طبيعة ثانية»[56]. ولكي تنجح هذه العملية لابدّ أن تتمّ عن إيمان واقتناع وإرادة من ذات الشخص، مع التدريب والتعوّد[57].

ويؤكّد عدد من الباحثين نجاعة هذا الأسلوب ومصداقيته، بل واعتماده وتقريره واحدا من أساليب بناء الأخلاق، وتغييرها إلى الأحسن، وتربيتها في الشخصية المسلمة، من خلال ما ورد في السنة النبوية. «ولاكتساب الأخلاق وسائل وطرق، منها: مزاولتها، واعتيادها، وتكلّفها؛ فإن المرء لا يزال يتكلّف الصبر مثلاً حتى يصير الصبر له سجيّة، وكذا الحِلْم، والوقار، والسكينة، وسائر الأخلاق»[58]. و«الأسباب والوسائل التي يكتسب بها الخلق الحسن كثيرة، ولكن من أبرزها: التدريب العملي، والممارسة التطبيقية للأخلاق الحسنة، ولو مع التكلّف في أوّل الأمر، وقسر النفس على غير ما تهوى؛ فالعلم بالتعلّم، والحلم بالتحلّم، والصبر بالتصبّر، والاستعفاف بالتعفف. قال ﷺ: (ومَنْ يستعفف يعفّه الله، ومَنْ يسْتغن يُغنه الله، ومَنْ يتصبّر يصبّره الله)»[59][60]. وعليه، فإن القائمين على تربية الدعاة أخلاقياً، حينما يستخدمون هذا الأسلوب، فإنهم يأخذون بهدي نبوي رشيد. وهم أولى الناس بتعلّمه وتطبيقه والاقتناع بجدواه وفاعليته.

ولأبي حامد لغزالي اهتمامه الكبير بهذا الأسلوب وموقفه الواضح منه؛ إذ يعدّه ركناً ركيناً في عملية تربية الأخلاق؛ فيؤكد عليه، ويشرحه شرحاً وافياً، ومن ذلك

(56) جوانب التربية الإسلامية (297).

(57) التربية الأخلاقية في زمن العولمة (18).

(58) الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية ص (114).

(59) صحيح البخاري، ح رقم (1469).

(60) الخلق الحسن (15).

قوله: «والوجه الثاني – يقصد بعد الجود الإلهي – اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة. وأعني به: حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب. فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خُلُق الجُود، فطريقه: أن يتكلّف فعل الجَوَاد، وهو بذل المال. فلا يزال يطالب نفسه، ويواظب عليه، تكلّفاً مجاهداً نفسه فيه، حتى يصير ذلك طبعاً له، ويتيسر عليه، فيصير به جواداً. وكذلك من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع، وقد غلب عليه الكبر، فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدّة مديدة، وهو فيها مجاهد نفسه، ومتكلّف إلى أن يصير ذلك خُلُقاً له وطبعاً، فيتيسر عليه. وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً، تحصل بهذا الطريق. وغايته: أن يصير الفعل الصادر فيه لذيذاً. فالسّخِي، هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع»[61].

إن هذا التفصيل والتوضيح لهذا الأسلوب – الاعتياد والممارسة – في عملية تربية الأخلاق وبنائها في النفس، أمر ضروري ومهم جداً، وبخاصة فيما يتصل بموضوع بناء أخلاق الداعية وتربيتها لديه؛ ليتم الوصول إلى قناعة راسخة بأن عملية تحصيل الخلق الحسن واكتسابه، ليست عملية سهلة، ولا تقع بالتمنّي، كما أنها ليست مستحيلة المنال، وإنما تتطلب من الداعية – وغير الداعية – بذل الجهد المطلوب، ومجاهدة نفسه وأهوائه، وحملها على تكلّف الخلق الحسن وتعوّده مراراً وتكراراً. وهذا هو صلب العملية التربوية، وهذا يعني أن على الدعاة أن يفهموا جيداً أن مجرّد قراءتهم لأبواب الأخلاق الحسنة، لا يكفي لأن تصبح سلوكاً ملازماً لشخصياتهم، وأن وعظهم الناس بالأخلاق الحسنة، وتعليمهم إياها في مواعظ ودروس لا يلزم منه أن تكون أخلاقاً عملية تظهر لدى الناس. ويعني هذا أيضاً للقائمين على بناء الدعاة أخلاقياً، أن يدركوا جيداً أنه لابد من الأخذ الجاد بهذا الأسلوب أثناء عملية تربية الدعاة على الأخلاق، وألا يقفوا عند حدّ عملية التلقين والتدريس فقط، بل لابد من إيجاد آليات عمل معينة، ينتقلون فيها بالدعاة إلى الممارسة والرياضة لأيّ خلق حسن يراد لهم أن يتخلّقوا به، وأن يتم تعويدهم على الظهور به، ولو تكلّفا في بداية الأمر، إلى أن يصبح فيهم سلوكاً راسخاً. فيتم تعويدهم عمليا على الصبر، أو الحِلم، أو الأمانة، وذلك بتعريضهم لمواقف اختبارية وواقعية يتمّ الترتيب لها بطريقة ما. وهذا فيه من النفع أضعاف ما قد يكون في التدريس النظري. ولعلّ هذا ما يفسر لنا من جهة أخرى الإخفاق الذي يلحظ عند بعض الآباء في تغييرهم لسلوك أبنائهم؛ ذلك أنهم يكتفون فقط بإعطاء الأوامر النظرية المؤقتة والمتقطعة، فيقال للابن: صلِّ، أو اذهب للمسجد، أو احترم أخاك،

(61) إحياء علوم الدين (3/ 57-58).

أو أنفق. لكن دون أن يتبع ذلك، أو يقترن به أسلوب التعويد والممارسة لهذا السلوك. وفي المقابل ينجح بعض الآباء؛ لأنه يقول لابنه نظرياً مرّة أو مرّتين، لكنه يجعله يمارس السلوك الحسن عشرين مرّة، فما يلبث هذا الابن أن يكون ذلك الخلق الحسن سجية له، يفعله دون تكلف ومعاناة. كذلك الأمر يجب أن يتم، سواء في دائرة الدعاة أنفسهم، أو بينهم وبين من يدعونهم، ويعلمونهم.

ولعله من المستحسن أن يقوم المربّون والمسؤولون عن بناء الدعاة، بعقد سلسلة من الدورات التدريبية، وإقامة مراكز خاصة تعنى بشؤون الدعوة والدعاة، ويكون فيها فروع متخصصة بمتابعة البناء السلوكي والأخلاقي لدى الدعاة إلى الله، تعالى.

3- **الصُّحْبة**: تعد الصحبة أو المعاشرة من ضمن العوامل البيئية التي تؤثر في شخصية الإنسان؛ لأنه عامل خارج عن التركيبة الوراثية[62]. وهو عامل قويّ الأثر، شديد الفعّالية، يمكن أن يحوّل سلوك الشخصية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وبالعكس. ولذلك اعتنى الإسلام بالصحبة أيّما اعتناء، فرغّب في الجليس الصالح، وشبهه بحامل المسك، وحذّر من جليس السوء، وشبهه بنافخ الكير، وأعلى الإسلام من مقام المحبّة في الله، والتزاور في الله، والمجالسة في الله، وغير ذلك من التوجيهات والآداب الشرعية التي تضبط الصحبة، وتحفظها من الانحراف، وتجعل العلاقة التأثيرية بين أطرافها إيجابية لا سلبية.

ومن هنا، فإن على القائمين على شؤون الدعاة وتربية أخلاقهم، أن يوجهوهم إلى اختيار الصحبة الأقوى إيماناً، والأكمل أخلاقاً، والأكثر خبرة في الحياة؛ لكي يتأثروا بمحاسنهم، ويستفيدوا من خبراتهم الإيجابية؛ ولكي يحصلوا منهم على التسْديد والتوجيه حينما تقع منهم زلاّت أخلاقية، أو مواقف أخلاقية محرجة. وينبغي الاهتمام الشديد بهذا الأسلوب في بناء الأخلاق وتربيتها؛ لأن النبي ﷺ قال: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[63]. فالداعية، وكذلك كل إنسان، يكتسب بالمقارنة والمعاشرة أخلاق من يقارنه ويعاشره[64]. والداعية المسلم يحرص على أن تكون صحبته دائماً محمودة، كما أنه يدعو غيره أصلاً من الناس إلى اختيار الصحبة الطيبة؛ لما يعلمه من أثر بليغ للصحبة في الطرف الآخر في سلوكه قولاً كان، أو فعْلاً. وعليه، فإنه إذا ضمنا للداعية صحبة تتمتع بأخلاق راقية، نكون بذلك قد سلكنا أحد أهم السبل في بناء أخلاق الداعية؛ لأنها سرعان ما ستظهر في واقعه.

(62) علم نفس النمو (13-43)، وعلم نفس النمو: الأسس والنظريات (114-155).

(63) سنن الترمذي، ح رقم (2378)، حسن.

(64) مدارج السالكين (2/ 448).

4- **القدوة:** المفترض في الداعية أن يكون قدوة للمدعوين، وللناس الآخرين، ولكن الحديث هنا عن تربية الداعية نفسه من الناحية الأخلاقية، بمعنى أنه يخضع لعملية بناء وتأثير من قبل طرف آخر، لابدّ أن يتمثل في النهاية بصفة أشخاص هم بمكانة المعلم والمربيّ. فالداعية – مهما بلغت منزلته – لابد له أيضاً من معلم ومربيّ، أي: لابد له من قدوة. و«للقدوة الحسنة أثر فعّال في توجيه السلوك الخُلُقي توجيهاً مباشراً، والسلوك الخُلُقي المحمود لا يتحقق فعليا إذا لم تدعمه أسوة وقدوة حسنة واضحة السلوك، تمكّن المرء من استحضار النموذج المراد كقدوة حسنة في كل الأوقات، حيث يتطلب القدوة الحسنة الثبات والاستمرار على السلوك الخُلُقي المحمود خلال سيرة الحياة»[65].

فمن السبل التي تساعد على تحسين أخلاق الداعية والرقي بها، وجود المربيّ القدوة، والمسؤول القدوة في أخلاقه وآدابه. فمن يكون مسؤولاً عن فئة الدعاة، ومن يتولّى مهمة بناء الدعاة أخلاقياً، لابدّ أن تتمثل فيه أخلاق الإسلام على أكمل وجه؛ لأن هذه من أقصر السبل التي ستمدّ الداعية بالأخلاق، وترفده بالآداب دون عناء التعلّم وبذل الجهد، بل بالملاحظة والتأثّر.

وبالنظر إلى سيرة النبي ﷺ وأصحابه، فقد كان النبي ﷺ القدوة المثلى للصحابة في كل شيء[66]، ومن ذلك الجانب الأخلاقي. فالصحابة – على جلالة قدرهم، وهم علماء ودعاة – ما كانوا ليرتقوا إلى هذه المكانة العلمية والأخلاقية لولا أنهم وجدوا في مربيّهم الأول، وقائدهم الأعلى رسول الله ﷺ القدوة والمثل الأسمى في تمثّل الأخلاق الإسلامية واقعاً عملياً في شخصيته وسلوكه وحياته ﷺ ، فهو لم يكن يكتفي بإلقاء الأوامر الأخلاقية النظرية عليهم، ولا بمجرّد تعليمهم النظري للقيم والآداب الإسلامية، بل لمس منه الصحابة الدعاة وسائر الناس – إضافة إلى ذلك – واقعاً أخلاقياً؛ ولذلك من تأمل مجموعة الأحاديث والوقائع النبوية التي تُنقل لنا في باب الأخلاق، يجد جزءاً منها عبارة عن تعليمات وأقوال، كقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[67]، وقوله ﷺ: (تبسمك في وجه أخيك صدقة)[68]، وقوله ﷺ: (أدّ الأمانة إلى من ائتمنك)[69]، إلى غير ذلك مما تزخر به كتب الأدب والرائق من كتب السنة، ولكنه يجد الجزء الأكبر في باب الأخلاق، وصفاً لأخلاقه ﷺ ، وحديثاً عن وقائع ومواقف تجلت فيها أخلاق النبي ﷺ؛ فكثيرا ما

(65) مفهوم السلوك (115)، ومقدمة في التربية الإسلامية (73).

(66) منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة النبوية الصحيحة (235).

(67) صحيح مسلم، ح رقم (182).

(68) سنن الترمذي، ح رقم (1956)، صحيح.

(69) المرجع السابق، ح رقم (1264)، صحيح.

يروى: كان رسول الله ﷺ كذا وكذا، ورأيته فعل كذا، وجاءه فلان فردّ عليه بكذا، فمثلا ما يروى في باب الأخلاق: أنه ﷺ كان دائم البشر، ويؤلف أصحابه ولا ينفرّهم، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه، وكان يمازح أصحابه، ويُكرم من يدخل عليه، وكان يصل ذوي رحمه، ويعود المسكين، ولا يتكلم في غير حاجة، ويضع الطيب، ويعود المرضى، إلى غير ذلك مما تفيض به كتب السنة والسّير.

والشاهد من كلّ هذا أن قادة الدعوة والقائمين على بناء الدعاة وتعليمهم وتربيتهم، لابد أن يجد الدعاة فيهم القدوة في حسن الخلق، وأن يلمسوا الأخلاق في تصرفاتهم وواقعهم، بحيث يتأثر الدعاة بقادتهم ومعلميهم ومربّيهم، وبما يشاهدونه أكثر مما يسمعونه؛ ليكونوا هم من بعد كذلك قدوة للناس وللمدعوين في مجتمعاتهم، فيتأثر الناس بأخلاقهم خارج المسجد أكثر مما يسمعونه منهم داخله، كما يتأثر الطالب بمعلمه بما يلاحظه في سلوكه وشخصيته وتعامله أكثر بكثير من تلك الكلمات التي يرددها المعلم في الصف، أو يكتبها على السبّورة.

5 – **الدعاء**: من السبل المفيدة والعجيبة في تحصيل الداعية للأخلاق الحسنة، هو سبيل الدعاء، أي: الطلب من الله، تعالى.

ففي عقيدتنا الإسلامية تعد الأخلاق والعمل الصالح من باب الرزق الرباني، الذي يرزقه الله – تعالى – لعباده، كما يرزقهم الطعام والشراب، وهما يخضعان لسنن الله – تعالى – في إيصال الخير والهدى لخلقه. ومن يتأمّل في جملة أدعية النبي ﷺ يجد مصداق هذا الكلام، فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله: ما خير ما أُعطي العبد؟ قال: (خلُق حسن)[70]، وقال ﷺ: (سلوا الله العفو والعافية واليقين في الآخرة والأولى)[71]، وغيرها من الروايات التي تؤكد أن الأخلاق رزق.

ويجد كذلك من يتأمّل أدعيته ﷺ أنه كان يسأل الله – تعالى – حسن الخلق، كما في دعائه ﷺ الذي يقول فيه: (واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت)[72]، وكذلك في دعائه ﷺ: (اللّهم كما حسَّنت خَلْقي فحسن خلُقي)[73]. وكان ﷺ يَسْأل الله – تعالى – ويطلب منه أن يبعد عنه أخلاقاً سيئة معيّنة، كما في دعائه ﷺ الذي يقول فيه: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم والقسوة)[74] إلى غير ذلك.

والمراد من هذه الشواهد، التأكيد على أن الدعاء

(70) سنن ابن ماجه، ح رقم (3436)، إسناده صحيح.

(71) المسند، ح رقم (34)، إسناده حسن.

(72) صحيح مسلم، ح رقم (1848).

(73) المعجم الكبير، ح رقم (404)، إسناده حسن.

(74) صحيح البخاري، ح رقم (2736).

أحد السّبل التي يتمكن بها المسلم، والداعية من تحصيل حسن الخلق، ومن الترقي بأخلاقه إلى الأفضل، ومن تجنب الأخلاق الرديئة التي قد تضرّ به في الدنيا وفي الآخرة.

ومن هنا فالمطلوب – إجرائياً – من كل مسلم ومن كل داعية، أن يكثر من الدعاء أن يحسن الله خلقه، وأن يخلصه من رديئه وسيئه، وأن يكرر الأدعية النبوية كما وردت. وإذا ما أراد خلقاً حسناً معيناً في حياته – كالحِلْم مثلاً – أكثر من طلبه من الله – تعالى – مع الأخذ بأسبابه، وإذا ما أراد أن يتخلص من خلق ذميم – كالبخل، أو الحسد مثلاً – دعا الله – تعالى – باستمرار أن يجنبه إياه، وأن يخلّصه منه، وهذا السبيل في تحسين الأخلاق – أي الدعاء – هو من فضل الله – تعالى – على عباده.

6 – **المحافظة على أداء العبادات**: من السبل العملية التي تساعد على تحقيق الخُلُق الحسن، والابتعاد عن السيئ، سبيل أداء العبادات والمحافظة عليها. فمن يحافظ على أداء العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج وذكر وقراءة للقرآن وغير ذلك، فلابد أن تترك أثرها المباشر في سلوكه الطيب وأخلاقه الحسنة؛ لأن القيام بالعبادة يؤثر في قلب العبد المسلم، فتتأثر جوارحه، حيث تؤدي في النهاية إلى «استقرار السلوك الخُلُقي المحمود، وتهذيب النفس من الشوائب الدالة على السلوك الخُلُقي المذموم»[75]. فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتصل قلب العبد بربه ﷻ، والزكاة تطهر النفس وتزكيها، والصوم يثمر التقوى، والحج رياضة روحية ونفسية واجتماعية، تغرس الأخلاق الذاتية والاجتماعية، والسلوكية والتعاملية، وهكذا سائر العبادات[76]، وذلك كما في قوله – تعالى –: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ (العنكبوت:45)، وقوله – تعالى –: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة:103)، وقوله – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:183)، وقوله – تعالى –: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ ﴾ (البقرة: 197). وليس هنا محلّ بيان آثارها، لكن المقصود الإشارة إلى كونها تعدّ سبيلاً مهماً، ووسيلة عملية مؤثرة في الارتقاء بشخصية المسلم بصورة عامة، والداعية بصورة خاصّة. ويعظم أثر العبادات في بناء الداعية أخلاقياً إذا ما أتقن أداءها، وحافظ عليها، وأخلص فيها.

فمثلاً، كثير الذكر لله – تعالى –، قلّ أن يكون صاحب لسان جهول وبذئ، ودائم الإنفاق في سبيل الله،

(75) مفهوم السلوك الخلقي (104).

(76) أصول التربية الإسلامية (124)، ومن معالم الدعوة الراشدة، (26).

نادراً ما يكون شحيحاً، والمحافظ على صلاة الجماعة غالباً ما يكون أخلاقه الاجتماعية حسنة مع الناس، وهكذا، فإن العبادة لابدّ أن تترك أثراً ما في سلوك صاحبها، ولا شك أن الداعية هو من أكثر الناس حرصاً على أداء العبادات؛ لذا وجب أن يكون من أحسنهم خلقاً.

7- **التعهد**: يعد التعهد من السبل التي تحفظ أخلاق الداعية المسلم من الانهيار أو التراجع والضعف. والمراد به: أن يتعاهد الداعية أخلاقه، ويتفحصها، ويراقبها بصورة مستمرة. وهذا التعاهد يأتي من طرفين:

الأول: المربيّ أو المؤسسة الدعوية المسؤولية.

فالواجب عليهم أن يتابعوا ذلك الداعية الذي تمتّ عملية بناء أخلاقه، وخضع لدروس ودورات في الأخلاق، وأن لا يترك بعدها؛ لأن الخطورة تكمن دائما في أنْ يُكتفى بالمرحلة التعليمية والتربوية الأولى للمتعلم والمتربي، وما إن تنتهي، أو يتخرج حتى يُترك؛ لذا لابد من تعاهد أموره ومتابعته وسؤاله عن حاله، وإخضاعه بين وقت وآخر لمزيد من الجرعات التربوية الأخلاقية التي تحدث تجديداً أخلاقياً في حياته.

والدعوة اليوم – في ظل واقعنا المعاصر – في أمس الحاجة إلى تفعيل هذا السبيل ضمن أطر متعددة، من بينها إطار المراجعة للمسيرة الدعوية وللنتاجات، وإخضاعها للنقد وللتقويم، وتفحص جوانب الخلل فيها[77]، ومن بينها الجانب الأخلاقي، وضمن إطار التربية بالأحداث[78]، حيث يتم تعهد البعد الأخلاقي من خلال الوقائع التي تمس هذا الجانب، ويتم التصدي لها ومعالجتها.

الثاني: الداعية نفسه، فعلى الداعية المسلم أن يحرص على المحافظة على ما اكتسبه من قيم وآداب أخلاقية مستمدة من الكتاب والسنة، وذلك بمراقبة نفسه، وبمحاسبتها على أي تقصير أخلاقي. فلا يطمئن لنفسه أنه على قدر كافٍ من الأخلاق، وأنه قد وصل لمرحلة لا يمكن أن يحصل له فيها ضعف أو تراجع. وعليه أن يسعى دائماً لتجديد روافده الإيمانية والأخلاقية، التي تبعث فيه همة التدّين، والتمسك بالهدي النبوي في الأخلاق الإسلامية، وأن يكثر من مطالعة سير الدعاة الكبار، والقراءة في كتب الأخلاق والآداب والزهد والرقائق وغير ذلك؛ لكي يحافظ على أخلاقه، وأن يزداد قوة فيها لا ضعفاً.

***

المبحث الرابع

دوافع تربية الداعية أخلاقياً

يعرف الدافع بأنه «حالة استثارة وتوتر داخلي يثير السلوك، ويدفعه إلى تحقيق هدف معين»[79] ويعرف

(77) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي (24).

(78) منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة النبوية الصحيحة (61، 203).

(79) سيكولوجية التعليم والتعلّم (174).

– كذلك – بأنه «عملية يتم بمقتضاها إثارة نشاط الكائن الحيّ، وتنظيمه، وتوجيهه إلى هدف محدد»[80]. ويقدم الشيباني تعريفا شمولياً للدافع، فيقول: «الدافع بمعناه الواسع الشامل لكافة العناصر والقوى الفطرية والمكتسبة المحركة للسلوك؛ فمن حاجات ورغبات وميول واتجاهات وانفعالات وعواطف وقيم وعادات وحوافز وبواعث وأغراض وأهداف»[81]. أي هو: «مجموعة القوى النشيطة المُحركة للسلوك»[82]. وعليه فالدوافع تعدّ المحرّكات والبواعث التي تدفع الإنسان لسلوك معين.

وفي موضوعنا «بناء أخلاق الداعية وتربيتها»، المراد بالحديث عن الدوافع فيه، هو تسليط الضوء على ما يدفع الداعية المسلم، ويبعثه على أن يتخلق بالأخلاق الحسنة، ويحرص على الظهور بها، ويبتعد عن الأخلاق السيئة، والظهور بها. وبما أن الخلق سلوك، فلابد أن يكون وراءه ما يدفعه؛ لأن السلوك – كما هو معروف في علم النفس – مدفوع، أي: لابد أن يكون وراء كل سلوك دافع ما. ولعلّ في بحث دوافع الداعية المسلم في الالتزام بالخلق الحسن وتحصيله، ما يؤدي إلى بناء أخلاق الداعية وحفاظه عليها، وتنبيهه، وتنبيه القائمين على تربيته إلى ضرورة الاعتناء دائماً بهذه الدوافع وإثارتها؛ لتحقيق مقاصد التربية الأخلاقية للداعية. ومن تلك الدوافع التي لها فاعليتها في بناء أخلاق الداعية، ما يأتي:

1 – **التعبد لله – تعالى –**: فمن أقوى الدوافع المحركة للسلوك في تربيتنا الإسلامية: دافع الإيمان، والتعبد لله – تعالى –[83]. فالذي يبعث الداعية المؤمن على أن يتخلق بخلق من الأخلاق الحسنة، هو إيمانه بالله – تعالى – والتعبّد لله – تعالى –. فمثلاً، حينما يسلك الداعية الصراط المستقيم في تعامله مع الناس، فلا يكذب، ولا يغش، فإنما يفعل ذلك، لأنه مؤمن بالله – تعالى – ولأن الله – تعالى – نهاه عن هذه الأخلاق الرديئة، وهو يريد تنفيذ ذلك، والالتزام به عبادة منه لله – تعالى – والداعية حينما يندفع لتبليغ الدين ووعظ المسلمين، ويصبر على المشاقّ المرتبة على ذلك، ويتحمّل الجهد، ويبذل المال ويصبر، فإن الذي يدفعه لذلك هو عقيدته وإرادته الدينية، ونيته في أن يتعبّد الله – تعالى – بذلك، وهكذا في جميع ما يفعله، أو يتصف به من سلوك حسن، أو يتركه من سلوك سيء.

وبناء على ذلك، فإن على المربيّن، والقائمين على شؤون الدعاة وبناء أخلاقهم وتربيتهم، أن يحركوا فيهم

(80) سيكولوجية التعليم والتعلّم (174).

(81) علم النفس التربوي (98).

(82) المرجع السابق نفسه.

(83) علم النفس التربوي في الإسلام (157)، ومنهج التربية الإسلامية (34).

هذا الدافع دائماً، وأن يذكّروهم بأن إيمانهم بالله – تعالى – وقصدهم إلى تعبّد الله – تعالى – هو الذي يدفعهم إلى التخلّق بالأخلاق الحسنة، والابتعاد عن الأخلاق السيئة.

2 – **الشعور بالمسؤولية**: فمن المعلوم في شريعتنا الإسلامية، أنّ المسلم مسؤول عن تصرفاته مسؤولية كاملة، وأنه محاسب عليها. وبناء على ذلك، فإن شعور الداعية بهذه المسؤولية يدفعه – بلا شك – إلى الحذر الدائم من التقصير في القيام بواجباته الأخلاقية، أو ارتكاب المنهيات الأخلاقية. فهو يعلم أنه إذا خان أمانة الدعوة أو التعليم وضيّعها، فإن الله – تعالى – سيحاسبه على ذلك، كما أنه يمكن أن يحاسب في الدنيا بالعقوبة الشرعية المناسبة، وهذا سيدفعه – بلا شك – إلى حفظ أمانة الدعوة والتعليم. وعلى ذلك تقاس باقي الأخلاق.

ومن هنا، فإن على المربيّن العمل على إثارة الدافعية لدى الداعية المسلم بإشعاره دائما بالمسؤولية تجاه ما يظهر منه من سلوك أخلاقي، وهذا ما سيجعله حريصا على التخلق بأخلاق حسنة، ومجانبة الأخلاق الفاسدة.

3 – **الرغبة في الأجر، ورفعة المنزلة**: فمن الدوافع ذات الفاعلية القويّة في تحسين مستوى الأخلاق لدى المؤمن عامة، والداعية خاصّة، هو دافع الرغبة في تحصيل الأجر والثواب. وقد جاء هذا الدافع واضحاً في النصوص الشرعية، كما في قوله ﷺ: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق)[84]، وقوله ﷺ: (وأعظم ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق)[85]. فالداعية المسلم الذي يرغب في أن يثقل ميزان أعماله يوم القيامة، ويقوى احتمال دخوله الجنّة، عليه أن يحرص على التمسك بالأخلاق الحسنة، ولا شك أن هذا دافع قوي له يدفعه للظهور بالأخلاق الجميلة. وكذلك دافع الرغبة في تحقيق المنازل العالية، فقد جاء هذا الدافع في النصوص الشرعية، كما في قوله ﷺ: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)[86]، وقوله ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقّا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خلقه)[87]. وغير ذلك من النصوص التي تجعل الرغبة في أن يصل المؤمن والداعية إلى المنازل الرفيعة، دافعاً له لأن يكون على الهدي النبوي الرفيع في سلوكه الأخلاقي.

ومن هنا، فإن الواجب على من يتحّمل مسؤولية البناء الأخلاقي، أن يحرص كل الحرص على إثارة دافع الرغبة في تحصيل الأجور والثواب، ودافع الحرص على تحقيق المنازل العالية لدى المتعلمين والمتربّين من الدعاة وطلبة العلم والعوّام وغيرهم في سبيل حثّهم على التحلّي

(84) سنن أبي داود، ح رقم (4801)، صحيح.

(85) سنن الترمذي، ح رقم (2004)، حسن الإسناد.

(86) المرجع السابق، ح رقم (2018)، صحيح.

(87) سنن أبي داود، ح رقم (4802)، حسن.

بالأخلاق الحسنة، والاستمرار عليها، ومفارقة الأخلاق السيئة، وقطع أسبابها.

4- **تحقيق النجاح**: فمن الدوافع الذاتية والاجتماعية التي تدفع الداعية المسلم إلى الالتزام بالأخلاق الحسنة، وترك الأخلاق الوضيعة، هو رغبته في تحقيق ذاته واحترامه الاجتماعي[88]، والذي يتجلى في رغبته في أن يكون «ناجحاً» في دعوته وحياته.

وعليه، يقال للداعية: إذا أردت أن تكون شخصية ناجحة في وسطك الاجتماعي فما عليك إلا أن تكون صاحب خلق حسن؛ لأن الناس جبلت على محبة الإنسان المحسن إليها، وكراهية الإنسان المسيء إليها. فيحرص بذلك الداعية على أن يكون له مقام صدق في بيئته، ولا يتأتى له ذلك إلا بمخالطة الناس بالأخلاق الحسنة، ونبذ الأخلاق الرديئة، وهذا سيجلب له المكانة والاحترام والتقدير، وهو ما يعني تحقيقه للنجاح. وهذا دافع قوي يجعله يسلك المسلك الأخلاقي الحسن، ويحرص على الظهور به بشكل دائم.

هذه جملة من الدوافع التي تساعد على تربية الدعاة أخلاقياً، والحفاظ على استمرارية أخلاقهم، وقد يتدرج ضمنها دوافع فرعية أخرى، وقد يكون هناك دوافع غيرها.

***

(88) علم النفس التربوي في الإسلام (163).

المبحث الخامس

أثر تربية الداعية أخلاقياً

للأخلاق الحسنة التي يتحلّى بها الإنسان عموماً، أثرها الإيجابي الذي لا يشك فيه، في مختلف جوانب شخصية هذا الإنسان ومناحي حياته المتنوعة. فكيف إذا كان صاحب هذه الأخلاق إنساناً مسلماً، يؤمن بالله – تعالى – وبرسوله ﷺ ويؤمن بالقرآن وباليوم الآخر؟! لا شك أن لأخلاقه الحسنة مزيداً من الأثر تفوق الإنسان العادي، ثم يقال بعد ذلك: كيف إذا كان حامل هذه الأخلاق الحسنة مؤمناً وداعية إلى الله؟، فهو مؤمن يحمل إرث النبوة، ولواء الرسالة، ويبلغ عن رسول الله ﷺ رسالته التي عنوانها (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) إلى الناس كافة. فعندها يكون لأخلاقه الحسنة أثرها العميق في مختلف الميادين، وفي مقدمتها نجاحه في دعوته ورسالته التي يحملها، وينتمي إليها. ويمكن، في محاولة تقريبية – فقط – الوقوف على أثر أخلاق الداعية في نجاح الدعوة، ضمن المحاور الآتية:

المحور الأول: أثر الأخلاق الحسنة في الداعية نفسه. فمن ذلك:

- تحقيق العبودية لله – تعالى – فالداعية المسلم حينما يلتزم بالأخلاق الإسلامية، يطبق شرع الله – تعالى – على نفسه، ويفعل ما دعاه إليه الشرع من العبادات. وهذا من

تكميله لسلم العبودية وقيامه بسائر أوجهها، مما يكون من أسباب توفيق الله لهذا الداعية في دعوته.

– تزكّية الداعية باطنه، وهذا من أهم أنواع تزكية النفس، فهو يزكيها بالمراقبة والخشية والمحبة لله وبتركه للحسد وللغلّ وغير ذلك، مما تصفو به نفسه، ويطهر به باطنه، وذلك سبب قوي لتزكيته جوارحه، وللوصول إلى محبة الله – تعالى – ونيل توفيقه، وتسديده له في عمله الدعوي.

– ضبط سلوك الداعية وتصرفاته الظاهرة؛ فيظهر الأدب والجمال والاستقامة في قوله وفعله ومظهره الخارجي. وهذا مما يسانده في عمله الدعوي، وقبول الناس لدعوته.

– تحقق الأخلاق الحسنة للداعية، الشخصية المتكاملة البعيدة عن التناقض بين ما تقول وما تفعل، والمعتدلة البعيدة عن الإفراط والتفريط. فيجد الناس فيه شخصية منسجمة متزنة، وهذا مما يرفع مكانته عندهم، وقناعتهم بدعوته.

– تحقيق القدوة الأخلاقية للمدعوين، إذ يجد الناس الأخلاق الإسلامية متمثلة في واقع هذا الداعية، الأمر الذي يدعوهم للاقتداء به.

– حصول الأجر العظيم للداعية، على تخلقه بالأخلاق الحسنة التي يتصف بها، ويعامل الناس على أساسها.

المحور الثاني: أثر أخلاق الداعية في غيره من الدعاة. من ذلك:

– تؤدي أخلاق الداعية المسلم – حينما يكون ملتزما بها – إلى تحقيق التآلف بين الدعاة أنفسهم؛ لأنها ستسود بينهم أجواء المحبة والاحترام، والعدل والتقدير، وهذا بلا شك يجعلهم أكثر تآلفاً، ويترك أثراً حميداً في نفوسهم، فلا تحاسد، ولا تنابز، ولا تراشق بالتهم، ولا استرابة، ولا ظنون سيئة بينهم. وهو أمر من شأنه أن يجعلهم يداً واحدة، وأن يزيد في قوتهم، ونجاحهم الدعوي.

– تترك الأخلاق الحسنة التي يتجمّل بها الدعاة، السمعة الحسنة للمؤسسات وللجماعات الدعوية، وللمعاهد العلمية وغيرها ممن ينتسبون إلى الدعوة إلى الله – تعالى – وهذا من شأنه أن يجذب الناس، ويرغبهم في الانضمام إليهم، والاستماع إليهم، والاقتداء بهم، والسير على دربهم، ويشعرهم بأن هؤلاء الدعاة أمة واحدة، وفريق واحد، وفي هذا تعبير عن رسالة الإسلام ودعوته وغاياته. فهي دعوة التوحيد، وغايتها جعل الناس أمة واحدة، لا تعبد إلا الله – تعالى – رجاء الفوز برضوانه في الدنيا والآخرة.

المحور الثالث: أثر أخلاق الداعية في الدعوة نفسها. من ذلك:

– أن أخلاق الداعية تعبر عن المنهج الإسلامي

الذي تعدّ الأخلاق جزءاً لا يتجزأ منه. فحينما يلتزم الدعاة بالأخلاق، يثبتون كمال هذا المنهج الإسلامي، وشمولية رسالته ودعوته.

- تؤكد أخلاق الداعية المقتضى الأخلاقي للدعوة الإسلامية، ولكلمة التوحيد.

- يبث التزام الدعاة بالأخلاق، ما يعرف بأخلاقيات التعلم والتعليم في الأوساط العلمية المختلفة.

- تتجاوز الدعوة الإسلامية – بالتزام أعضائها بالأخلاق – حالات التناقض المنفرّة التي توجد في بعض الدعوات والأشخاص، حيث يكون هناك انفصام واضح بين خطابهم النظري للناس، وتصرفاتهم على أرض الواقع.

- تطيل الأخلاق الحسنة للدعاة، من عُمر الدعوة إلى الله – تعالى – ومؤسساتها؛ لأن هذا يمنع انهيارها، أو طردها من قبل المجتمع.

المحور الرابع: أثر أخلاق الداعية في المدعوين.

من ذلك:

- تُحبب إليهم دين الله، تعالى؛ لأنهم يجدون في حملته كل الأخلاق الحسنة في التعامل معهم.

- تجعل أخلاقُ الدعاة الناسَ أكثر تهيُّؤًا واستعداد لسماع كلامهم، وقراءة كتبهم.

- يتمكنون من إيجاد القدوة العملية لهم، التي تجمع في شخصيتها بين ما تدعو إليه من أفكار، وما يظهر في عالمها من سلوك.

- تؤثر أخلاق الدعاة في استمرار المدعوين بالالتزام والاستجابة.

- تعمل أخلاق الداعية على منع الرافضين للدعوة من معاداتها، وتحييدهم، على الأقل.

- تزيد أخلاق الدعاة من نسبة المدعوين القابلين لدعوتهم؛ لأنهم بأخلاقهم يصبرون على المدعوين، ويتحملونهم، ويكررون عليهم الدعوة مراراً، الأمر الذي غالباً ما يقود إلى الاستجابة.

- تساعد أخلاق الداعية على سرعة انتشارها بين المدعوين؛ لأن الناس تُكثر من الثناء على أصحاب الخلق الحسن، والداعية الملتزم بالأخلاق سيحظى بحظّ وافر من ثناء الناس عليه وعلى دعوته، وترغيب بعضهم بعضا في السماع منه.

- تولّد الأخلاق الحسنة علاقة حسنة بين الداعية والمدعو، سواء استجاب لدعوته، أم لم يستجب.

- تمنع الأخلاق الحسنة للداعية، ردود الفعل السلبية والعنيفة من قبل الشخص المدعو؛ لأن القلوب جبلت على حبّ من أحسن إليها. فغالباً حينما يتكلم الداعية بأسلوب لطيف، ويتعامل بسلوك حسن مع أيّ مدعو، فإنه سيقابله برد معتدل حتى لو رفض التدّين.

المحور الخامس: الأثر المجتمعي لأخلاق الدعاة:

حينما نتحدث عن أخلاق الدعاة، فإنما نتحدث عن الأخلاق التي جاء بها الإسلام، وهذه الأخلاق أكبر بكثير من مجرّد آداب اجتماعية محدودة، إنها – إضافة إلى كونها آداباً فردية واجتماعية – تعد قيما كبرى؛ فهي ضوابط للسلوك، وموجهات اجتماعية، وجماليات حضارية، ونسائم إنسانية، تترك أثرها البليغ في شخص الإنسان كله وجوهر حياته، وفي بيئته ومجتمعه وتاريخه وحضارته. وفيما يأتي محاولة لرصد ما تتركه أخلاق الدعاة: أفراداً، وجماعات، ومؤسسات ودولاً، من أثر على الصعيد المجتمعي والحضاري، ومن ذلك:

– تنشئ أخلاق الدعاة مجتمعاً يتسم بالتآلف والتكافل وأداء الحقوق والقيام بالواجبات، وهذه الثمرات والآثار تتركه جملة القيم الأخلاقية الرائعة التي يتحلى بها الدعاة، ويدعون المجتمع إليها، ويبثونها فيه: كقيم الأخوة، والعدل، والإنفاق، والاحترام، وغير ذلك من قائمة القيم الأخلاقية المعروفة.

– تقلّل الأخلاق من الأثر السلبي للعولمة التي تسعى إلى فرض أنماطها الأخلاقية المادية والفردية والسطحية في المجتمع المسلم؛ إذ تبني أخلاق الدعاة سدّا منيعاً أمام زحف العولمة غير الأخلاقي، على أخلاق المجتمع المسلم.

– تحافظ أخلاق الدعاة على خصوصية المجتمع المسلم وملامح هويته الحضارية؛ لأنه من المؤكد أن الأخلاق تمثل واجهة رئيسة فيه.

– تعمل أخلاق الدعاة على إيجاد جسور التواصل الحضاري بين حضارة المسلمين وسائر الحضارات الأخرى، وتقوي أوجه التفاهم فيما بينها، وتساعد على إيصال رسالة الإسلام بالطريقة الأقوى أثراً والأشد جذباً، وهي طريقة الأخلاق التي أكد لنا التاريخ أهميتها في جعل غير المسلمين يدخلون في الإسلام أفراداً وجماعات، بل ودولاً كاملة، كما حصل في دول شرق آسيا التي تعدّ من أكبر الدول الإسلامية سكاناً، وما كان ذلك إلا بفضل الله، ثم بأخلاق الدعاة، وحملة الإسلام، والملتزمين به من سائر أطياف أبناء المسلمين.

– تعمل أخلاق الدعاة على إشاعة أخلاقيات العمل التعليمي والمهني والثقافي في المجتمع المسلم؛ ليمتاز عن غيره من المجتمعات المادية المعاصرة التي عزلت قيم الأخلاق عن العلم، فأصبح العلم ذا غايات مادية، قد يهدم حضارات أخرى، ويبيد شعوباً مسالمة؛ لأجل التسلط على ثرواته، في حين تعمل أخلاق الدعاة على المحافظة على حالة الانسجام والتواؤم بين العلم والإيمان والأخلاق؛ لتكوِّن بذلك إحدى واجهات حضارتنا الإسلامية الرائقة التي نتفوق بها على الواجهات المادية لحضارة الغرب.

***

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى ما يأتي:

– يهتم الدين الإسلامي غاية الاهتمام بالتربية الخلقية، ويعطيها قدرا كبيراً من التوجيه، بوصفها الأساس الأول الذي يشيد عليه البناء الاجتماعي السليم.

– ينظر إلى مهّمة التربية الأخلاقية للداعية المسلم على أنها جانب من جوانب التربية الإسلامية الشمولية التي يحتاجها كل مسلم.

– الواقع الأخلاقي للأمة المسلمة وللدعوة الإسلامية، جزء من الواقع الحضاري المأزوم الذي تمرّ به الأمة المسلمة في زماننا.

– التغيير الأخلاقي – على صعيد النفس، وعلى صعيد المجتمع والجيل – هدف رئيس، وغاية مُعْتَبَرة في رسالة الإسلام، ودعوته النبوية.

– ضرورة الوعي بأن بناء الأخلاق في شخصية الداعية عملية «منهجية ومؤسّسية».

– لتحقق المؤسسات الدعوية تربية أخلاقية ناجحة للدعاة، لابّد أن يكون لديها وعي تام وموقف علمي واضح من الطبيعة الإنسانية، والقناعة التامة بفكرة قابلية الأخلاق للتغيير.

– تساعد الأساليب التعليمية والتعلّميّة على تحقيق عملية تربية الدعاة أخلاقياً لأهدافها وغاياتها في تخريج الشخصية الدعوية ذات القيم الأخلاقية الإيجابية.

– الاعتياد على السلوك الخلقي، وممارسته من أقوى السبل في التربية الأخلاقية لدى الدعاة.

– للصحبة، وللقدوة، وللدعاء، ولأداء العبادات، أثرها الكبير في تنمية القيم الأخلاقية عند الداعية، والمحافظة عليها، والاستمرار بالظهور، والتعامل بها.

– تعاهد الداعية لأخلاقه، وشعوره بالمسؤولية، من السبل التي تحفظها من التراجع والضعف.

– يُعَدُّ دافع الرغبة في تحصيل الأجر والثواب، وتحقيق النجاح الدعوي والاجتماعي، من الدوافع القويّة في تحسين مستوى أخلاق المؤمن بعامة، والداعية بخاصّة.

– لأخلاق الداعية الحسنة أثرها العظيم في مختلف الميادين، وفي مقدمتها نجاحه ونجاح دعوته، وتحقيق التآلف بين الدعاة أنفسهم.

– تعكس أخلاق الدعاة خصوصية المجتمع المسلم وملامح هويته الحضارية، وتعمل على إزالة الشبهات والصور السوداوية الموجودة في أذهان الآخرين عن الإسلام ودعوته.

وتوصي الدراسة المسؤولين عن بناء الدعاة وتربيتهم، بعقد سلسلة من الدورات التدريبية في مجال القيم الأخلاقية، وبإقامة مراكز خاصة تعنى بمتابعة

شؤون الدعوة والدعاة، يكون فيها فروع متخصصة بمتابعة البناء السلوكي والأخلاقي لدى الدعاة إلى الله – تعالى –. كما توصي الدراسة بإقامة مراكز علمية تعنى بتكوين الدعاة القادة، وتوصي كليات الشريعة في العالم الإسلامي بتقرير مساق جامعي على طلبة الشريعة بعنوان: «أخلاق الداعية المسلم».

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

***

المصادر والمراجع

اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية. الكيلاني، ماجد عرسان. ط1، عمان: دار البشير، 1992م.

إحياء علوم الدين. الغزالي، أبو حامد. (د.ط)، بيروت: دار المعرفة، 1978م.

الأخلاق الإسلامية. حبنكة، عبد الرحمن حسن. ط1، بيروت: مؤسسة الرّيان، 1997م.

الأخلاق بين المدرستين: السلفية، والفلسفية (مسكويه، وابن القيم نموذجاً). العمْرو، عبد الله بن محمد. ط1، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، 2006م.

أزمة الأخلاق: أسبابها وعلاجها من منظور التربية الإسلامية. حريري، عبد الله محمد. (د.ط)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1995م.

أصول التربية الإسلامية. الحازمي، خالد. ط1، الرياض: دار عالم الكتب، 2001م.

الإعداد الروحي والخُلقي للمعلم والمعلمة. خياط، محمد جميل. ط2، جدة: دار القبلة، 1996م.

التربية الأخلاقية في زمن العولمة. فهيم، محمد عيسى. (د.ط)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 2008م.

الجامع الصحيح. البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: مصطفى البغا. ط3، بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ – 1987م.

جوانب التربية الإسلامية الأساسية. يالجن، مقداد. ط1، (د.م)، (د.ن)، 1406هـ – 1986م.

الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة. القحطاني، سعيد بن علي، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

خلُق المسلم. الغزالي، محمد. ط21، دمشق: دار القلم، 2004م.

خواطر في الدعوة. العبدة، محمد. ط2، لندن: المنتدى الإسلامي، 1992م.

ربانية لا رهبانية. الندوي، أبو الحسن علي. ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م.

الروح. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، 1975م.

سلسلة الأحاديث الصحيحة. الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ط)، الرياض: مكتبة المعارف، 1415هـ – 1995م.

سنن ابن ماجه. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. (د.ط)، (د.م)، مكتبة أبي المعاطي، (د.ت).

سنن أبي داود. أبو داود، سليمان بن الأشعث. تحقيق: محمد محيي الدين. (د.ط)، مصر: دار الفكر، (د.ت).

سنن الترمذي (الجامع الصحيح). الترمذي، محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد شاكر. (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

سيكولوجية التعلم والتعليم: الأسس النظرية والتطبيقية. ملحم، سامي محمد. ط1، عمان: دار المسيرة، 2001م.

الشخصية من منظور نفسي إسلامي. التل، شادية أحمد. (د.ط)، إربد: دار الكتاب الثقافي، 2006م.

صحيح الجامع الصغير. الألباني، محمد ناصر الدين. ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1988م.

صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

صحيح وضعيف سنن ابن ماجه. الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ط)، الإسكندرية: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، (د.ت).

صحيح وضعيف سنن أبي داود. الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ط)، الإسكندرية: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، (د.ت).

طرائق التدريس العامة. مرعي، توفيق؛ والحيلة، محمد. ط1، عمان: دار المسيرة، 2002م.

طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية. الخوالدة، ناصر؛ وعيد، يحيى. ط1، عمان: دار حنين، 2001م.

العقيدة والعبادة والسلوك. الندوي، أبو الحسن علي الحسني. ط2، بيروت: دار القلم، 1983م.

علم النفس التربوي في الإسلام. التل، شادية أحمد. ط1، عمان: دار النفائس، 1425هـ - 2005م.

علم النفس التربوي. الشيباني، عمر التومي. ط1، ليبيا: جامعة الفاتح، 1421هـ - 2001م.

علم نفس النمو. سليم، مريم. ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 2002م.

علم نفس النمو: الأسس والنظريات. القناوي، هدى؛ ومصطفى، حسن. (د.ط)، القاهرة: دار قباء، 2001م.

قراءات في التربية الإسلامية. النقيب، عبد الرحمن؛ والهنيدي، جمال. ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 2004م.

كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي: الأصول

والمبادئ. (د.ط)، تونس: المجمع الملكي لبحوث الحضارة، 1987م.

مدارج السالكين. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1937م.

مدخل إلى التربية الإسلامية. عبد الله، عبد الرحمن صالح. ط2، عمان: دار الفرقان، 2001م.

مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة. الهاشمي، عابد توفيق. ط2، عمان: دار الفرقان، 1982م.

مدرسة الدعاة. علوان، عبد الله ناصح. ط3، القاهرة: دار السلام، 2005م.

مفهوم السلوك الخلقي من وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي، وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة. العطاس، عبد الله بن محمد. (د.ط)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1425هـ.

مفهوم المدارس الفلسفية للطبيعة الإنسانية وانعكاساتها على العملية التربوية. لبابنة، أحمد حسن. رسالة ماجستير، الأردن: كلية التربية، جامعة اليرموك، 2002م.

مقدمة في التربية الإسلامية. أبو عراد، صالح. ط1، جدة: الدار الصولتية، 2003م.

مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية (التربية والطبيعة الإنسانية). عبد العال، حسن إبراهيم. (د.ط)، الرياض: دار عالم الكتب، 1985م.

من أخلاق الداعية. العودة، سلمان بن فهد. (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

من معالم الدعوة الراشدة. القرني، عوض. ط1، جدة: دار المجتمع، 1992م.

منهج التربية الإسلامية. قطب، محمد. ط15، القاهرة: دار الشروق، 2001م.

منهج التربية في التصور الإسلامي. مدكور، علي أحمد. (د.ط)، بيروت: دار النهضة العربية، 1411هـ - 1990م.

منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة النبوية الصحيحة. أمحزون، محمد. (د.ط)، القاهرة: دار السلام، (د.ت).

نحو ثقافة إسلامية أصيلة. الأشقر، عمر سليمان. ط4، عمان: دار النفائس، 1994م.

نظرات في مسيرة العمل الإسلامي. حسنة، عمر عبيد. ط1، قطر: كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية، 1405هـ.

«وسطية الإسلام والأمة المسلمة». ضميرية، عثمان جمعة. مجلة البيان، لندن، ع (167)، 2001م.

***